

كتاب السفيناني ابا سفيان في عصر الظهور

كلما ظهرت دعوة حق تظهر في قبالها دعوات باطلة يستفزها الشيطان بصوته لتقف ضد دعوة الحق.

وهذا ليس بالشيء المستغرب لأن الشيطان هو عدو مبين للإنسان وهو من أخرج آدم وحواء (عليهما السلام) من الجنة، بمعنى إنه مستمر في كيد الإنسان وإغواءه كما فعل بأبويه من قبل، وهذا يعني إن خط الشيطان هو خط موجود منذ وجود الخليقة على الأرض والذي يقع قبالة خط الحق المتمثل بالله تعالى ومن يختاره لخلافة الأرض ورعايتها وهم الأنبياء والرسل والأوصياء والأئمة والذين خاتمهم الإمام المهدي (عليه السلام).

ولما كانت دعوة الإمام المهدي (عليه السلام) هي من سنخ تلك الدعوات الإلهية، بل هي متممة وخاتمة لها، وإن لها شبه بها ولا سيما دعوة جده المصطفى (ﷺ) تسليماً والتي وردت عدة روايات تثبت هذا الشبه بينهما من ذلك ما جاء عن أبي بصير عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: (يا أبا محمد يستأنف الداعي منا دعاءً جديداً كما دعا إليه رسول الله...)^(١). إذن لا بد والحال هذه أن تقوم دعوة مضادة لدعوته مثلما حدث مع جده الرسول (ﷺ) تسليماً، وكما يعلم الجميع إن الذي وقف بوجه دعوة الرسول (ﷺ) تسليماً هو زعيم قريش وكبيرها أبو سفيان بن حرب والذي كان يمتلك السلطة والقوة والمال والجاه وقام بتسخير ذلك كله من أجل القضاء على الدعوة المحمدية آنذاك، وقد استمر الخط الأموي الذي ينتسب إلى أبو سفيان والذي يمثل جانب الباطل والشيطان، وعلى مر السنين ومنذ الصدر الأول للإسلام قاموا بمحاربة جانب الحق المتمثل بالرسول (ﷺ) تسليماً والأئمة الأطهار (عليهم السلام) من بعده والذي يمثل الخط الإلهي في الأرض والشواهد التاريخية تثبت ذلك، فكما وقف أبو سفيان معادياً لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تسليماً ووقف معاوية ابن أبي سفيان معادياً للإمام علي (عليه السلام) ومن ثم الإمام الحسن (عليه السلام).

ولو جئنا إلى الإمام الحسين (عليه السلام) لتبين لنا إن الحقد الأموي السفيناني قد تجلى في أقبح صورته حينما وقف يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (عليهم لعنة الله) في وجه الإمام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته وأنصاره ورحم الله الشاعر حينما قال :

عبد شمس قد أضمرت لبني هاشم

حرباً يشيب منها الولد

فابن حرب للمصطفى وابن

هند لعلّي وللحسين يزيد

ومن هذا المنطلق ومن جانب الشبه بين الدعوتين المحمدية والمهدوية واستمراراً لذلك العداء الأموي لا بد أن يكون في عصر الظهور الشريف للإمام المهدي (عليه السلام) أبو سفيان آخر يقابل أبو سفيان في عصر الرسالة المحمدية، وهو امتداد للخط السفيناني ذاته نسباً وفكراً والذي يقف قبيل وأثناء قيام الإمام المهدي (عليه السلام) بوجه دعوته الميمونة المباركة، ويكون سائراً على نهج أجداده من آل أبي سفيان في محاربة أهل البيت (عليهم السلام)، وهذا الشخص بطبيعة الحال هو السفيناني الذي تكون له حركة قبيل قيام دعوة الإمام المهدي والتي يقودها وزيره اليماني الموعود.

وهذا ليس بالشيء الغريب، فقد وردت الكثير من الروايات الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام) والتي تتحدث عن السفيناني وحركته ووقوفه بوجه الإمام المهدي (عليه السلام) وبوجه صاحب دعوته معبراً بذلك عن الحقد الذي ورثه من أجداده وآبائه وعدائهم لأهل البيت (عليهم السلام) جيلاً بعد جيل.

الباب الأول

السفيناني في القرآن والسنة

أولاً : السفيناني في القرآن

إن القرآن فيه تبيان كل شيء وقد فصل الله تعالى فيه الآيات للناس لكي يعتبروا ويهتدوا إلى طريق الحق والصراط المستقيم، ومثلما ذكر جانب الخير وطريق الحق الممثل بخط الرسل

والأنبياء والأولياء والصالحين فإنه ذكر جانب الشر وطريق الباطل ممثلاً بخط الشيطان وأعدائه من طواغيت العصر وجبابرته كنمرود وفرعون وهامان وغيرهم.

وبما ان القرآن هو حاكي عن كل زمان فلا بد أن يكون حاكي بصورة خاصة عن قضية وحركة الإمام المهدي (عليه السلام) وقيامه المقدس الذي يمثل ثمرة بعثة الأنبياء والأئمة والأوصياء على طريق توحيد الله عز وجل وإقامة دولة الحق والعدل الإلهي في هذه الأرض بل في الكون كله، فمن الطبيعي والحال هذه ذكر أعداء الإمام المهدي (عليه السلام) وعلى رأسهم العدو الأكبر السفيناني اللعين الذي يمثل أبو سفينان في عصر الظهور الشريف .

صحيح إن الآيات القرآنية لا تصرح باسمه بشكل صريح إلا إن ذلك نستشفه من سياق تفسير الآيات القرآنية تلك والتي أوردها أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وإليك بعض تلك الآيات والشواهد القرآنية.

الآية الأولى: قوله تعالى: {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} (٢) فقد ورد في تفسير هذه الآية : (ما يحدث من أمر القائم والسفيناني) (٣).

الآية الثانية: قوله تعالى: {فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ} (٤).

وهي أحد الآيات التي نزلت في السفيناني أيضاً، فقد روي عن جابر الجعفي عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال: (إلزام الأرض ولا تحركن يدك ولا رجلك أبداً حتى ترى علامات أذكركها لك... وإن أهل الشام يختلفون عند ذلك على ثلاثة رايات الأصهب والأبقع والسفيناني مع بني ذنب الحمار مضر حتى يقتتلوا قتلاً لم يقتله شيء قط ويحضر رجلاً من دمشق فيقتل هو ومن معه قتلاً لم يقتله شيء قط وهو من بني ذنب الحمار وهي الآية التي يقول الله تبارك وتعالى فيها فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ويظهر السفيناني ومن معه حتى لا يكون همه إلا آل محمد (ﷺ) تسليماً وشيعتهم...) (٥).

وبذلك يكون السفيناني قد شابه جده أبا سفينان بن حرب في جمعه الأحزاب من قريش وبعض قبائل العرب من كنانة وغطفان وسليم وغيرها وحتى اليهود وسيره بهم لقتال الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً)، ومصير أحزاب السفيناني من التشتت هو ذاته مصير الأحزاب بقيادة أبي سفينان بن حرب الذين تشتتوا وتفرقوا لوقوع الخلاف فيما بينهم، وإن الله عز وجل سينصر

٢ - طه ١١٠

٣ - تفسير القمي ج ٢ ص ٦٥

٤ - مريم ٣٧

٥ - البحار ج ٥٢ ص ٢٢٢، تفسير العياشي ج ١ ص ٦٤

وليه الإمام القائم (عليه السلام) بنصر من عنده والمتمثل بالخسف الذي يخسف بجيشه في البيداء، كما نصر الله تعالى رسوله (ﷺ) تسليماً) في واقعة الأحزاب أي معركة الخندق بأن أرسل عليهم ريحاً شنتهم وفرقتهم وردوا بغيظهم لم ينالوا خيراً ونصر الله عبده وأعز جنده (٦).

وكما قال أمير المؤمنين (عليه السلام) فيما ينسب إليه

لا تحسبن الله خاذلاً دينه ونبيه يا معشر الأحزاب

الآية الثالثة: قوله تعالى: {وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ} وجاء في تفسير هذه الآية: (فإذا جاء إلى البيداء يخرج إليه جيش السفيناني فيأمر الله الأرض فتأخذ أقدامهم...) (٧).

وهي حكاية عن جيش الخسف الذي يرسله السفيناني لقتال الإمام المهدي (عليه السلام) ولعله يوجد في القرآن أكثر من آية تقابلها إذ تحكي ما كان عليه أبو سفينان وحال جنوده وأشياعه أيام بعثة النبي (ﷺ) تسليماً) وعدائه لهم ومن ذلك قوله تعالى {والركب أسفل منكم} وقد ورد في تفسيرها عن الإمام الصادق (عليه السلام): (أبو سفينان وأصحابه) (٨).

الآية الرابعة: قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا} (٩) وهي في جيش السفيناني أيضاً كما ذكر الإمام الباقر (عليه السلام) حيث قال في تفسير هذه الآية: (لا يفلت من جيش السفيناني الهالكين في خسف البيداء سوى ثلاثة نفر يحول الله وجوههم في أقفيتهم وذلك عند قيام القائم المهدي) (١٠).

وهذه الآيات بجملتها تدل على وجود نكر السفيناني في القرآن وتحذر من مغبة الانجرار وراء حركته وتأييدها لأن في ذلك حرب لله تعالى ذكره، وإن المنتسبين إليها سيرون وبال عملهم هذا، كما إن فيها إحياء إلى الشبه بين أبو سفينان وحفيده السفيناني من حيث العداء لأهل البيت (عليهم السلام) وحرب الإسلام المحمدي المهدي عن طريق تشابه المواقف والأحداث التي تحكيها الآيات القرآنية التي ذكرناها آنفاً .

٦ - البحار ج ٢ ص ١٩١، أعلام الورى ص ٩٠، تأويل الآيات ص ٤٣٩، تفسير القمي ج ٢ ص ١٧٦

٧ - بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣١٦

٨ - تفسير العياشي ج ٢ ص ١٥

٩ - النساء ٤٧

١٠ - غيبة النعماني ص ٢٧٩، بشارة الإسلام ص ١٠٢، تفسير العياشي ج ١ ص ٢٤٤

ثانياً : السفيناني في الروايات

إن روايات كلا الفريقين ذكرت حركة السفيناني وتفاصيلها وضمها وتحذير الناس منها، إضافة إلى تناول صفات السفيناني واسمه ونسبه، وسنحاول ذكر الروايات من كلا الفريقين حول الحركة بصورة عامة وسماتها وسمات قائدها وبطلانه على عدة محاور .

المحور الأول :

من حيث خروج السفيناني عن ربة الدين الإسلامي وكفره صراحة وهذا الشيء ليس بالمستغرب فهو يشابه فيه جده أبو سفيان حيث ورد عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً) أنه قال: (إذا عبر السفيناني الفرات بلغ موقع يقال له عافر قوفاً محاً الله تعالى الإيمان من قلبه ...)^(١١).

وجاء في رواية عن كعب أنه قال: (لا يعبر السفيناني الفرات إلا وهو كافر)^(١٢).

أما من روايات الشيعة التي تؤكد على كفر السفيناني وخروجه من الإسلام إلى دين النصرانية ما جاء عن النبي (ﷺ تسليماً) أنه قال: (إذا حاد السفيناني عن الحق وحاد عن جادة الدين تقوم له قيس من مصر فينتصر على جيشها الذي ترسله لقتاله ...)^(١٣).

وجاء في رواية ثانية عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: (هو من أخبث الناس لأنه لم يعبد الله قط ولم يدخل مكة قط ولا المدينة قط ...)^(١٤).

وكذلك وردت روايات تشير إلى كفر أصحاب حركة السفيناني فقد جاء عن جابر بن يزيد عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال: (إذا بلغ السفيناني إن القائم قد توجه إليه من ناحية الكوفة يتجرد بخيله حتى يلقي القائم .. ثم يصبحون للقائم (عليه السلام) بالحرب فيقتتلون يومهم ذلك ثم إن الله تعالى يمنح القائم وأصحابه أكتافهم فيقتلونهم حتى يفنواهم حتى إن الرجل يختفي في الشجرة والحجرة فتقول الشجرة والحجرة يا مؤمن هذا رجل كافر فقتله فيقتله، قال فتشعب السباع والطير من لحومهم ...)^(١٥).

وجاء عن حذيفة عن رسول الله (ﷺ تسليماً) أنه قال: (فيقدم الشام فيذبح السفيناني تحت شجرة التي أغصانها إلى بحيرة طبرية ويقتل كلباً ... قال حذيفة يا رسول الله وكيف يحل قتالهم وهم

١١ - الفتن لأبن حماد ج ١ ص ٣٠٤

١٢ - السنن الواردة في الفتن ج ٥ ص ١٢٣

١٣ - منتخب الأثر ص ٤٦٥ ، يوم الخلاص ص ٥٨٥

١٤ - يوم الخلاص ص ٦٠٦

١٥ - البحار ج ٥٢ ص ٣٨٨

موحدون ؟ فقال رسول الله (ﷺ) تسليماً: يا حذيفة هو يومئذ على ردة يزعمون أن الخمر حلال ولا يصلون ...^(١٦).

وهذا مما يؤكد بشكل جلي ارتداد أصحاب السفيناني مثله تماماً عن الدين الإسلامي بأعمالهم تلك وكما هو واضح بقول الرسول (ﷺ) تسليماً) وإنهم يومئذ على الردة . وهذا بالتالي يثبت لنا ردة السفيناني عن الإسلام وهذا هو بعينه حال أبو سفينان بن حرب إلا أنه في الخفاء والباطن، من حيث انه دخل الإسلام مكرهاً وذلك بعد أن رأى قوة الرسول (ﷺ) تسليماً) وكثرة جيشه، فنصح العباس بن عبد المطلب أن يسلم وإلا ضربت عنقه وكان صديقه في الجاهلية، ف جاء إلى الرسول (ﷺ) تسليماً) مستجيراً به، وقد وردت عدة روايات تشير إلى إظهار أبو سفينان للإسلام وإبطانه الكفر .

فقد ورد انه لما بويح لأبي بكر جاء أبو سفينان إلى الإمام علي (عليه السلام) وقال له: (أغلبكم على هذا الأمر أقل بيت في قريش أما والله لأملأنها خيلاً ورجلاً إن شئت . فقال علي (عليه السلام) : ما زلت عدواً للإسلام وأهله فما ضر ذلك الإسلام وأهله شيئاً ...^(١٧).

ونلاحظ إن الإمام علي (عليه السلام) يشير بوضوح إلى عداة أبو سفينان للإسلام وأهله مما يدل على انه غير مسلم من حيث الباطن بدليل انه كان يحاول إثارة النعرات والصراعات الداخلية بين المسلمين^(١٨).

وقد صرح أبو سفينان بلسان صريح بأنه منكر للجنة والنار وهذا يعني انه غير مؤمن بما جاء به محمد (ﷺ) تسليماً) من تعاليم الإسلام والتي من بينها الاعتراف بوجود الجنة والنار كما انه في نفس الوقت لا يعترف بخلافة المسلمين إنما يعد ذلك ملك حازه الرسول (ﷺ) تسليماً)، حيث روي: (إن أبا سفينان دخل على عثمان حينما صارت الخلافة إليه فقال: قد صارت إليك بعد تيم وعدي فأدرها كالكرة واجعل أوتادها بني أمية فإنما هو ملك ولا أدري ما جنة ولا نار فصاح به عثمان .. ما يدل على إنه لم يكن إسلامه سالماً ...^(١٩).

المحور الثاني :

وهنا سنبين ضلال السفيناني ولعنه، لأن اللعن لا يكون لإنسان إلا إذا كان باطلاً ومعادياً للإسلام وذلك كما ورد في قوله تعالى: **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ**

^{١٦} - السنن الواردة في الفتن ج ٥ ص ١٠٩١

^{١٧} - الاستيعاب ج ٤ ص ١٦٨

^{١٨} - ابن حجر الإصابية ج ٣ ص ٤١٤ ، الإستيعاب ج ٤ ص ١٦٧٨

^{١٩} - الاستيعاب ج ٤ ص ١٦٨٠

وَالْمَلَائِكَةَ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ }^(٢٠) وقوله عز وجل {مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا * سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا }^(٢١).

وقد ورد عن الإمام علي (عليه السلام): (إن هؤلاء الملحونين هم بني أمية الذين يقوم الإمام المهدي (عليه السلام) فيغريه بهم فيقتلهم ملعونين أينما ثقفوا فيأخذهم ويقتلهم)^(٢٢).

أما ما ورد في لعن السفيناني ما جاء عن جابر عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال: (يظهر الأبقع بمصر يقتلون الناس حتى يبلغوا إرم ثم يثور المشوه عليه فتكون بينهما ملحمة عظيمة ثم يظهر السفيناني الملحون فيظفر بهما جميعاً ...)^(٢٣).

كما روى حذلم بن بشير عن الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) أنه قال: (ثم يخرج السفيناني الملحون من الوادي اليابس)^(٢٤).

وهكذا نجد التأكيد على لعن السفيناني وحركته في آخر الزمان، كما ورد في لعن أبو سفينان من قبل مما يدل على الشبه بينهما من هذه الناحية أيضاً.

وقد ورد في لعن أبو سفينان على لسان أئمة أهل البيت (عليهم السلام) منها على سبيل المثال ما ورد عن الإمام الباقر (عليه السلام) في زيارة عاشوراء: (السلام عليك يا أبا عبد الله السلام عليك يا ابن رسول الله ... اللهم أجعل محياي محيا محمد وآل محمد ومماتي ممات محمد وآل محمد اللهم إن هذا يوم تبركت به بنو أمية وابن آكلة الأكباد اللعين ابن اللعين على لسانك ولسان نبيك صلى الله عليه وآله في كل موطن وموقف وقف فيه نبيك صلى الله عليه وآله اللهم العن أبا سفينان ومعاوية ويزيد بن معاوية عليهم منك اللعن أبد الآبدين ...)^(٢٥).

كما ورد عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) في أعمال اليوم الثالث من شهر صفر لعن آل أبي سفينان مائة مرة، حيث انه في شهر صفر وقيل في ذلك اليوم أدخلوا سبانيا آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً) إلى دمشق.

ونرى انه يفهم من فحوى الزيارة الواردة عن الإمام الباقر (عليه السلام) بأن يلعن أبو سفينان ويدعو إلى البراءة منه ومن آل أبي سفينان وبني أمية، والتمسك بولاية محمد وآل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين).

٢٠ - البقرة ١٦١

٢١ - الأحزاب ٦١-٦٢

٢٢ - البحار ج ٣٤ ص ١١٨ ، كتاب سليم ص ٧١٥ ، شرح نهج البلاغة ج ٧ ص ٥٨ ، الغارات ج ١ ص ١٠

٢٣ - الفتن لأبن حماد ج ١ ص ٢٨٦

٢٤ - بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢١٣

٢٥ - مصباح المتهدد ص ٧٧٥

المحور الثالث:

وفيه إشارة إلى إفساد السفيناني للبلاد والعباد عند خروجه والقتل دون رحمة، وذلك كما فعل جبابرة الأرض كالنمرود وفرعون، وسفكه الدماء بغير حق، وقد أشار القرآن إلى فساد الناس في الأرض بقوله ﴿وَأِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢٦).

وقوله تعالى ﴿مَنْ أَجَلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾^(٢٧).

وقد جاء في روايات أهل السنة حول أفعال السفيناني التي منها قتل الأطفال وبقر بطون النساء منها ما ورد عن عبد الله بن عباس أنه قال: (يخرج السفيناني فيقاتل حتى يبقر بطون النساء ويغلي الأطفال في المراجل)^(٢٨).

وورد في رواية أخرى عن أرطاة قال: (يقتل السفيناني كل من عصاه وينشرهم بالمناشير ويطبخهم في القدور ستة أشهر)^(٢٩).

وقد جاء عن أبي قبيل أنه قال: (السفيناني شر من ملك يقتل العلماء وأهل الفضل ويفنيهم ويستعين بهم فمن أبى عليه قتله)^(٣٠).

أما بالنسبة للروايات المروية عن أهل البيت (عليهم السلام) حول ما يفعله بالناس ولا سيما شيعة أهل البيت والتي تكشف عن شخصية عديمة الإنسانية والرحمة، حيث ورد عن عمر بن يزيد عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: (إنك لو رأيت السفيناني رأيت أخبث الناس أشقر أحمر أزرق يقول يارب يارب يارب ثم النار ولقد بلغ من خبثه انه يدفن أم ولد له وهي حية مخافة أن تدل عليه ...)^(٣١).

وجاء أيضاً عن الإمام علي (عليه السلام) في كتاب وجه به معاوية بن أبي سفيان قال فيه: (وإن رجلاً من ولدك مشئوم ملعون جلف جاف منكوس القلب فظ غليظ قد نزع الله من قلبه الرأفة والرحمة أخواله من كلب ...)^(٣٢).

٢٦ - البقرة ٣٠

٢٧ - المائدة ٣٢

٢٨ - الفتن لأبن حماد ج ١ ص ٣٠٦

٢٩ - الفتن لأبن حماد ج ١ ص ٩٤

٣٠ - الفتن لأبن حماد ج ١ ص ٢٨٣

٣١ - بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٠٥

٣٢ - بحار الأنوار ج ٣٣ ص ١٥٧

ولو عدنا إلى عصر صدر الرسالة والعصور التي تلتها نجد إن كل تلك الأفعال جسدها من قبل أبو سفيان ومن بعده معاوية ومن ثم يزيد بن معاوية ، وغيرهم من بني أمية .
فبالنسبة لأبي سفيان فكتب التاريخ والسير تعطينا خير دليل على فعالة وفعال قريش آنذاك من تعذيب المسلمين الأوائل بثتى أنواع الأذى من جلد وكى بالنار في حرارة صحراء الحجاز الملتهبة، مما أدى بقسم من المسلمين إلى الهجرة إلى الحبشة.
أما بالنسبة لمعاوية بن أبي سفيان فمن المعروف بأن سياسته كانت قائمة على المال والسيف، حيث إن شيعة أهل البيت (عليهم السلام) نالوا من ولاته أشد العذاب والتكيل ولا سيما في عهد زياد الذي كان يقطع الأيدي والأرجل ويقتل حتى النساء ويعريهن حتى يكونوا عبرة لمن يريد الخروج عليه، أما قتلهم الصالحين فخير مثال ما فعله معاوية مع الصحابي الجليل حجر بن عدي الكندي وقتله لأنه يقر للإمام علي (عليه السلام) بالولاية.
أما بالنسبة ليزيد لعنه الله فقد فضحت واقعة كربلاء عن حقيقته السبعية الحيوانية الكافرة حيث قام بقتل الحسين وقطع رأسه ورؤوس أهل بيته وأصحابه وسبي النساء وغيرها من الأعمال وهم خير مثال لقوله تعالى {مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا} (٣٣).
إلى جانب ما فعله المروانيين ولا سيما أيام الحجاج بن يوسف الثقفي وغيره من قتل وتكيل وهذا كله إن دل على شيء فإنه يدل على تطابق النهج السفيفاني في آخر الزمان والمتمثل بالسفيفاني وحركته(٣٤).

المحور الرابع :

حول العذاب الإلهي الذي سيسلطه الله تعالى على جيش السفيفاني، وذلك في قصة الخسف بجيش السفيفاني بالبيداء كما فعل الله تعالى بطواغيت الأمم السابقة وجيوشها كغرق فرعون وجيشه في البحر، حيث وردت عدة روايات تذكر فتنة السفيفاني وهلاك جيش الخسف الذي سيبعثه إلى المدينة لمحاولة القبض على الإمام المهدي (عليه السلام) ولكن جبرائيل (عليه السلام) بأمر من الله تعالى سيخسف بهم البيداء وهم في طريقهم من المدينة إلى مكة.
عن حذيفة عن رسول الله محمد (ﷺ) تسليماً) أنه قال : (فبينما هم كذلك إذ خرج عليهم السفيفاني ... ثم يخرجون متوجهين إلى مكة حتى إذا كانوا بالبيداء بعث الله جبرائيل فيقول يا جبرائيل اذهب فبدأهم فيضربها برجله فيخسف الله بهم ...) (٣٥).

٣٣ - المائدة ٣٢

٣٤ - تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٦-٢٠-١٦٠-١٦١-١٩١ ، مروج الذهب ج ٣ ص ١٣-٢٢

أما ما ورد في مصادر الشيعة ما جاء عن النبي محمد (ﷺ تسليماً) أنه قال: (يعوذ عائذ بالبيت فبيعت إليه جيش حتى إذا كانوا بالبيداء ببداء المدينة خسف بهم)^(٣٦).
وورد عن الإمام علي (عليه السلام) أنه قال: (فإذا كان ذلك خرج السفيناني فيملك قدر حمل امرأة ... ويأتي المدينة بجيش جرار حتى إذا انتهى إلى ببداء المدينة خسف الله به)^(٣٧).
وغيرها من الروايات التي تذكر هذا المعنى.
ونجد إن ذلك العذاب الإلهي قد طال أبو سفيان وجيشه من قبل وذلك كما وقع في واقعة الأحزاب، والتي أرسل الله عز وجل فيها ريح عاصفة فدحرت جيشه .
إن يتبين لنا من كل ما تقدم وجود الشبه بين السفيناني وأبو سفيان من ناحية الكفر وعدم الإيمان هما وأتباعهما، وإمعانهم في الفساد والإفساد والقتل في الأرض دون أي رحمة والتي تطال الصغير والكبير، والذي لا بد أن يرد الله عز وجل عليه نتائج ظلمة بالقصاص منه في الدنيا وذلك بظهور الإمام المهدي (عليه السلام) وسيفه الذي سيقصص به من السفيناني ويثأر لما فعله هو وأجداده من آل أبي سفيان من قبل.

الباب الثاني

أولاً: سفيناني الفتوى

قد يبدو مفهوم (سفيناني الفتوى) غريباً للوهلة الأولى، وقد يثير في نفس القارئ سؤالاً محيراً، أليس السفيناني هو سفيناني واحد وهو الذي يخرج قبيل قيام الإمام المهدي (عليه السلام) فما المقصود بسفيناني الفتوى يا ترى ؟
للإجابة على هذا السؤال نقول:
إذا ما عدنا بالتاريخ إلى الوراء وإلى زمان بعثة النبي الأكرم محمد (ﷺ تسليماً) حيث يتواجد أبو سفيان .

نجد إن أبي سفيان بن حرب كان له دور فعال ورئيسي في العداء للدعوة المحمدية والوقوف بوجه الإسلام والداعي إليه المتمثل برسول الله (ﷺ تسليماً) وهذا الدور ينقسم إلى دورين رئيسيين، الدور الأول هو ما كان قبل الهجرة، والذي اتسم فيه العداء بالطابع الفكري، أي إن أبو سفيان واجه الدعوة الإسلامية التي جاء بها محمد (ﷺ تسليماً) بالفكر العدائي المناهض لتلك الدعوة

^{٣٥} - الطبري ج ٢٢ ص ١٠٧

^{٣٦} - بحار الأنوار ج ٥٢ ص ١٨٦

^{٣٧} - غيبة النعماني ص ١٦٣

والذي وصل ذروته بمحاولة اغتيال الرسول (ﷺ) (تسليماً) والتي جاء فيها الإذن إلى الرسول (ﷺ) (تسليماً) بالهجرة إلى يثرب والتي أصبح اسمها فيما بعد بالمدينة المنورة، وإلى هنا ينتهي الدور الأول لأبي سفيان.

أما الدور الثاني فهو ما بعد الهجرة والذي اتسم العداء فيه بالطابع العسكري، أي ان أبا سفيان واجه الدعوة الحميدية بالعمل العسكري وقاد الصدام المسلح الذي استمر منذ بداية الهجرة إلى عام الفتح (فتح مكة) والذي أنهى فيه الرسول محمد (ﷺ) (تسليماً) النشاط العسكري لأبي سفيان وهزمه عسكرياً فضلاً عن هزيمته فكرياً والذي تمثل في فشله في المقاومة للدعوة الإسلامية، وانتشارها رغم أنه في مكة وما جاورها من المدن والبلدان الأخرى.

وبما إن دعوة الإمام المهدي (عليه السلام) لها شبه دعوة جده رسول الله (ﷺ) (تسليماً) فعلى هذا الأساس لا بد من وجود أبي سفيان في الحقيقة، وهذا السفياني من باب الشبه بينه وبين الدعوتين دعوة النبي محمد (ﷺ) (تسليماً) ودعوة المهدي (عليه السلام) وجب عليه أن يقوم بذات الدور الذي قام به أبو سفيان في صدر الإسلام والمتمثل بجانبين أو دورين، دور العداء الفكري للإمام (عليه السلام) ودور العداء العسكري المسلح .

وإذا ما علمنا إن سفياني السيف هو سفياني النسب أي يرجع في نسبه إلى بني أمية وإلى جده أبي سفيان بن حرب فإنه من السهولة بمكان أن يقاوم دعوة الإمام المهدي (عليه السلام) بالسيف ويحاول القضاء عليها عن طريق العمل العسكري، ولكن كيف يستطيع أن يقوم بالدور الثاني أي العداء الفكري لدعوة الإمام المهدي (عليه السلام)؟

وإذا قال قائل إن هذا من السهل حصوله فنحن نسمع ونرى هذه الأيام المبغضين لأهل البيت (عليهم السلام) والناصبين العداء لهم يحيكون الدسائس ويكيلون التهم لأهل البيت (عليهم السلام) ويتعرضون لمحبيهم والموالين لهم ويسومونهم ذبحاً وقتلاً وينشرون الفكر المعادي لهم المحرض على إتباع العنف ضد هذا المذهب والمنتسبين إليه، وهذا ما قام به أبو سفيان سابقاً وسيقوم به أبو سفيان في عصر الظهور وهو السفياني.

ونحن نرد عليه بالقول صحيح إن المعادين لأهل البيت (عليهم السلام) كثر وقد تقننوا في التعبير عن حقدهم وعدائهم لهم ولمن والاهم.

وبما إن السفياني في أول الزمان كان مكان تواجده مكة المكرمة فهذا يعني إن أبا سفيان في آخر الزمان (السفياني) يكون مكان تواجده مكة والتي قلنا إنها الكوفة حسب التأويل^(٣٨)، وبناءً على هذا وجب أن يكون مكان تواجد السفياني في الكوفة من باب المقابلة بين السفياني الأول

^{٣٨} - راجع الجزء الثالث من هذه الموسوعة والذي يتم فيه إثبات إن هناك مكة ومدينة للمهدي (عليه السلام)

والسفياني الثاني، وهذا الفرض ما لا يمكن أن يكون مطلقاً لأن السفياني وكما أشارت الروايات الشريفة الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام) يكون مكان خروجه ومركز تواجدته في بلاد الشام كما سنبين ذلك لاحقاً، ثم لا يمكن أن نتصور قبول الشيعة بأن يكون من بين ظهرانيهم السفياني ويقوم بمعاداة دعوة الإمام المهدي (عليه السلام) وصد الناس عنها وهم يعرفون إنه هو السفياني ذاته، إلا أن يكون المقصود به سفياني آخر لا ينتمي إلى أبو سفيان نسباً وأصلاً بل ينتمي إليه فكراً وأسلوباً في العداة لأهل البيت (عليهم السلام).

وهذا في الواقع ما سيكون، فهذا السفياني لا ينتمي إلى أبو سفيان من ناحية الدم وصلة القربى بل ينتمي إليه من ناحية مشابهة فعله لفعل أبي سفيان، وهذا ما يطلق عليه سفياني الفتوى الذي أشرنا إليه.

كما إن أبي سفيان كان نشاطه في مكة وعليه فسفياني الفتوى يكون نشاطه في مكة المهدي (عليه السلام) وهي الكوفة حسب التأويل، كما أن أبو سفيان من أهل مكة وهم قريش الذين ينتسب إليهم بني أمية وهم أبناء عمومة بني هاشم فبعد شمس وهاشم أخوان، وهذا يعني إن له صلة قرابة بالبيت الذي ينتمي إليه رسول الله (ﷺ) (تسليماً) وإنه أحد سادات قريش وكبرائها، أما سفياني الفتوى فلا بد والحال هذه أن يكون من قريش آخر الزمان الذين يسكنون الكوفة (مكة المهدي حسب التأويل) وهم أهل الكوفة (مكة حسب التأويل)، والمعروف إن قريش الكوفة هم بنو هاشم الذين يعودون في الأصل إلى قريش وهم أبناء عمومة الإمام المهدي (عليه السلام) وأبناء عمومة الداعي اليماني، وعليه فسفياني الفتوى يكون من أولئك الفقهاء الذين سوف يكذبون دعوة الإمام المهدي (عليه السلام) ويرفضونها بل إنهم يقولون للمهدي (عليه السلام): (إرجع من حيث جئت فلا حاجة لنا في بني فاطمة)^(٣٩).

وهم من سيحاربون دعوة الإمام المهدي (عليه السلام) فيقوم الإمام بالقضاء عليهم، فقد ورد عن مالك بن ضمرة عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أنه قال: (..... عند ذلك يا مالك يقوم قائماً فيقدم سبعين رجلاً يكذبون على الله ورسوله فيقتلهم ثم يجمعهم الله على أمر واحد)^(٤٠). وهؤلاء السبعين هم علماء السوء المضلين، ومن هناك يظهر أو ينبثق سفياني الفتوى.

أما مصاديق انطباق سفياني الفتوى على أبي سفيان يتضح لنا من خلال ما يقوم به سفياني الفتوى من عداة فكري أو معنوي للدعوة المهدوية كما قام بذلك أبو سفيان مع الدعوة المحمدية فيما مضى من الزمان.

^{٣٩} - البحار ج ٥٢ ص ٣٣٨ ، الإرشاد ج ٢ ص ٣٨٤ ، أعلام الورى ص ٤٦١

^{٤٠} - البحار ج ٥٢ ص ١١٥

فإن سفياني الفتوى سيقوم بصد الناس عن الالتحاق بالدعوة المهدوية الجديدة والتي تدعو إلى التوحيد الخالص ونبذ عبادة الأصنام البشرية^(٤١) والتي تكون عوضاً عن الأصنام الحجرية في عصر الظهور الشريف.

وسيحاول الضغط على ضعفاء الناس وحملهم على عدم الانخراط في هذه الدعوة أو تركها إذا ما كانوا داخلين فيها، وهذا ما عمله أبو سفيان أيام البعثة النبوية الشريفة من حمل ضعفاء الناس على عدم الدخول في الدين الجديد وتركه إذا ما دخل فيه أحدهم^(٤٢).

كما سيتبع سفياني الفتوى أسلوب القتل المعنوي لصاحب دعوة الإمام المهدي (عليه السلام) واتهامه بالكذب وغيرها من التهم التي يحاول من خلالها إسقاطه في أعين الناس كما يظن لكي لا يقدمون على إتباعه.

وهذا بعينه ما فعله أبو سفيان ومن سار في ركابه من زعماء قريش وكبارها من تكذيبهم للرسول محمد (ﷺ تسليماً) واقتراءهم عليه وتلفيقهم الأكاذيب عليه وهو من كان يعرف عندهم بالصادق الأمين.

كما إن سفياني الفتوى سيصدر فتوى مضلة باطلة ضد دعوة الإمام المهدي (عليه السلام) وأنصاره ويحث الناس على عدم الالتحاق بها وتركها مما يتسبب في إضلال الكثير من الناس، وبهذه الفتوى ستضيق الحلقة على الدعوة والقائمين عليها لأنهم سيطلبون ويحاربون في دعوتهم وقد تنقطع عليهم مصادر رزقهم وتهدد أماكن سكناهم بالتخريب.

وهذه إشارة ليست بالمستغربة إذا ما علمنا إن أبا سفيان ابن حرب أصدر ما يشابه الفتوى المضلة وهو ما تمثل بصحيفة قريش التي وقع عليها زعماء قريش الكبار وعلى رأسهم أبو سفيان وأعلنوا بها الوقوف بوجه دعوة النبي محمد (ﷺ تسليماً) كما أعلنوا مقاطعتهم لبني هاشم ولا سيما أبي طالب الذين ساندوا رسول الله (ﷺ تسليماً) وأن لا يبيعون ولا يشترون منهم ولا يتزوجون فيما بينهم ولا يتعاملون بينهم بأي نوع من أنواع التعامل.

أي إعلان حرب اقتصادية فكرية على دعوة النبي (ﷺ تسليماً) وأنصاره وحتى على من يؤيده ويدافع عنه^(٤٣).

وهذا ما سيكون في آخر الزمان في عصر ظهور الإمام المهدي (عليه السلام) بالفتاوى التي سيصدرها سفياني الفتوى وكبار علماء وفقهاء السوء التي تشبه إلى حد كبير ما موجود في صحيفة قريش .

٤١ - راجع مبحث الأصنام البشرية من هذه الموسوعة الجزء الثالث

٤٢ - تاريخ اليعقوبي ج ١ ص ١٩

٤٣ - تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٠

كما إنهم سيعاقبون ويتعقبون حتى من يؤيد الدعوة أو يحاول المحامات عنها أو عن صاحبها وهذا ما سيكون عليه حال صاحب النفس الزكية الذي سيقتل في الكوفة في سبعين من الصالحين لا شيء إلا لأنه يعلن تأييده لصاحب دعوة الإمام المهدي (عليه السلام) وإعلانه إن هذه الدعوة هي الدعوة المهدوية الحقّة التي ينتظرها العالم.

كما إن أنصار دعوة الإمام المهدي (عليه السلام) لا يسلمون من شر سفناني الفتوى وغيره من فقهاء السوء المضلين وزعماء الضلالة المسيطرين على مقاليد الحكم في العراق حتى بعد مهاجرتهم من العراق إلى خراسان حيث يقوم هؤلاء بمضايقة وتأليب من موجود من حكام خراسان وفقهاءها على تلك الدعوة ومحاولة ثنيهم عن احتضان المهاجرين.

وسوف يحاولون تصفية صاحب الدعوة وقتله مما يضطر معها إلى الاختفاء وفي نفس الوقت يهاجر أصحابه إلى خراسان مدينة المهدي، وهذا ما حدث أيام بعثة الرسول (ﷺ) (تسليماً) الذي أجمع مشركوا قريش على أخذ من كل قبيلة شاباً فيضربونه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه بين القبائل ولا يستطيع بنو عبد مناف المطالبة بدمه .

وقد يقول قائل ما الدليل على تعاون فقهاء السوء مع حكومة بني العباس التي تحكم العراق أثناء قيام الدعوة المهدوية ؟

والجواب على ذلك: إن التاريخ يعيد نفسه وإن آخر الأمة يمضي على ما مضى على أولها، حيث كان فقهاء السوء في العصور الإسلامية الأولى يسرون في ركاب السلطة الحاكمة، وكان الحكام الظلمة يستعينون بالفقهاء المضلين وعلماء السوء والقضاة في دعم مخططاتهم واتخاذهم ستاراً أو غطاءً دينياً لتمرير تلك المخططات، وإن نسينا فلا ننسى موقف شريح القاضي الكوفي الذي وقف إلى جانب عبید الله بن زياد عليه اللعنة وحرص الناس على حرب الإمام الحسين (عليه السلام) ونهاهم عن الوقوف إلى صفه، بل إن ابن زياد إستحصل فتوى منه تجوز فيها قتاله للحسين (عليه السلام) لخروجه على يزيد بن معاوية لعنه الله^(٤٤) .

وعليه فمن السهولة بمكان أن تقوم الحكومة العباسية بإستحصال فتوى من الفقهاء وعلى رأسهم سفناني الفتوى، ضد دعوة الإمام المهدي (عليه السلام) لحمل الناس على الوقوف ضد هذه الدعوة، وهذا الشيء ليس بالمستغرب على بني العباس في آخر الزمان الذين يرجعون نسباً وعملاً لبني العباس الأوائل الذين كانوا يحكمون المسلمين بستار ديني وبنظريّة الحق الإلهي في الحكم وأوهموا الناس بأنهم أولى بالحكم بعد الرسول (ﷺ) (تسليماً) وأحاطوا أنفسهم بطبقة من الفقهاء المضلين وعلماء السوء الذين كانوا يحسنون أعمالهم في أعين الناس ويزينونها على إنها حق.

والتاريخ العباسي مليء بالكثير من الشواهد التاريخية على ذلك^(٤٥).
 ومما تقدم يتضح لنا الدور الذي سيطر عليه سفياني الفتوى (أبو سفيان عصر الظهور) والذي يشابه إلى حد كبير ما قام به أبو سفيان بن حرب في عداؤه لرسول الله (ﷺ) (تسليماً) والتصديق عليه وعلى أنصاره ومنعهم من نشر دعوته.
 وأعلم إن خطر سفياني الفتوى هذا لا يقل خطورة عن سفياني السيف، بل إن سفياني الفتوى أشد خطورة من سفياني السيف لأن حركة سفياني السيف هي حركة من خارج المذهب الشيعي وهي حركة عسكرية معلنة وظاهرة وتنتهي بالرد العسكري عليها وبمجابتها بالسلاح ومن ثم القضاء عليها، ولكن حركة سفياني الفتوى هي حركة من داخل المذهب الشيعي والتي تتسبب في شق وحدة الصف الشيعي وحث الناس على عدم نصرته الإمام المهدي (عليه السلام) وذلك من خلال إصدارهم للفاوى المضادة التي تجعل الناس ينظرون لهذه الدعوة المباركة على أنها من الدعوات الضالة .

فقد ورد عن أبي بصير، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام) : (.....ولا يخرج القائم (عليه السلام) حتى يقرأ كتابان ، كتاب بالبصرة ، وكتاب بالكوفة ، بالبراءة من علي (عليه السلام)^(٤٦)).

ثانياً : سفياني السيف

وهو السفياني الذي تتحدث عنه الروايات الشريفة الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام) وهو العدو الأكبر والرئيسي للإمام المهدي (عليه السلام) والذي يظهر قبيل قيامه وهذا السفياني يعود نسبه إلى بني أمية كما مر .

وسفياني السيف هذا هو الذي يمثل أبو سفيان في عصر الظهور الشريف وسيضطلع بالدور الثاني الذي قام به أبو سفيان بن حرب في عداؤه للرسول (ﷺ) (تسليماً) ودعوته المحمدية والمتمثل بالدور العسكري، حيث سيقوم بذات الدور الذي قام به جده أبو سفيان من باب مقاومته الدعوة المهدوية وعداؤه لصاحبها السيد اليماني وهو في الواقع عداؤه للإمام المهدي (عليه السلام) وسيعمل على مقاومة الدعوة المهدوية عسكرياً ومادياً ويجتهد في القضاء عليها وعلى أصحابها بالعمل العسكري وبقوة السلاح، بل إنه سيصعب جام غضبه على شيعة أهل البيت (عليهم السلام) ولا سيما من أهل العراق وهذا ما سنتناوله في الصفحات اللاحقة من هذا البحث.

^{٤٥} - قوانين الوزارة ص ٧٠ ، البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٧-٨٦ ، مرآة الزمان ص ١٥٥

^{٤٦} - كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٣١٩ - ٣٢١

وما ينبغي معرفته إن ظهور السفيناني يعد من المحتوم الذي لا بد منه شأنه شأن الداعي اليماني الذي يعد من المحتوم أيضاً، وهو أمر طبيعي فالحق لا بد أن يظهر أمامه باطل يحاول ثنيه عن مسيرته وتقدمه، وهذا الشيء واكب مسيرة الإنسان من لدن آدم (عليه السلام).

وقد تعددت الروايات التي تشير إلى السفيناني وحركته كونه أحد العلامات الحتمية لقيام الإمام المهدي (عليه السلام) منها قول الإمام زين العابدين (عليه السلام): (إن أمر القائم حتم من الله وأمر السفيناني حتم من الله ولا يكون القائم إلا بسفيناني)^(٤٧).

ولما سئل الإمام الباقر (عليه السلام): (هل السفيناني من المحتوم ؟ قال: نعم والنداء من المحتوم وظلوع الشمس من مغربها من المحتوم واختلاف بني العباس في الدولة من المحتوم وقتل النفس الزكية من المحتوم وخروج القائم من آل محمد محتوم)^(٤٨).

وفي رواية عن المعلى بن خنيس عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : (إن أمر السفيناني من المحتوم وخروجه في رجب)^(٤٩).

اسمه ونسبه

أما بالنسبة للسفيناني ونسبه فكما هو واضح من اللقب إنه ينتمي إلى نسل أبو سفيان وتحديداً من نسل معاوية ومن ولد يزيد بن معاوية على وجه الخصوص، حيث إن السفيناني يمثل أبو سفيان نسباً وفعلاً أي إن نسبه يعود إليه، فضلاً عن إن أفعاله المعادية للإمام المهدي (عليه السلام) وشيعته وأهل البيت (عليهم السلام) تشبه أعمال جده أبو سفيان وباقي أجداده من بني أمية المعادية للرسول (ﷺ تسليماً)، والذي يبدو إن شهرة نسبه قد غطى على اسمه الذي تعددت أسماءه والتي يبدو إن أكثرها أسماء رمزية كما سيأتي.

وقد وردت عدة روايات عن أهل البيت (عليه السلام) وعن غيرهم تشير إلى اسم السفيناني ونسبه معاً.

الرواية الأولى: وردت عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: (يخرج ابن آكلة الأكباد من الوادي اليابس .. اسمه عثمان وأبوه عنبسة وهو من ولد أبو سفيان ..)^(٥٠).

كما جاء في رواية أخرى عن الإمام علي (عليه السلام) حيث سأله جماعة من أهل الكوفة عن اسم السفيناني فقال: (اسمه حرب بن عنبسة بن مرة بن كليب بن ساهمة بن زيد بن عثمان بن خالد وهو من نسل يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ...)^(٥١).

٤٧ - بحار الأنوار ج ٥٢ ص ١٨٢ ، يوم الخلاص ص ٥٩

٤٨ - يوم الخلاص ص ٥٩٧

٤٩ - بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٠٤

٥٠ - بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٠٥

وجاء أيضاً عن ابن عباس عن حدثه عن محمد بن جعفر عن الإمام علي (عليه السلام) أنه قال: (السفياني من ولد خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان) (٥٢).

وغيرها من الروايات التي تشير إلى نفس ذلك المعنى، فيتبين لنا إن السفياني يعود نسبه إلى أبي سفيان بن حرب ومن ذلك قد أخذ لقبه.

أما بالنسبة لأسمائه فضلاً عما ذكرته الروايتين الأتقتي الذكر فقد وردت عدة روايات تذكر اسمه فقط دون نسبه، فقد جاء عن كعب أنه قال: (يملك حمل امرأة اسمه عبد الله بن يزيد وهو الأزهر بن الكلبية أو الزهري بن الكلبية المشوه السفياني) (٥٣).

وجاء في رواية أخرى عن أرطاة بن المنذر عن حدثه عن كعب أيضاً أنه قال: (اسم السفياني عبد الله) (٥٤).

وجاء في رواية أخرى: (أما السفياني فاسمه عروة واسم أبيه محمد وكنيته أبو عنبسة) (٥٥). وبذلك نجد تعدد أسماء السفياني بين عثمان وحرب وعروة وعبد الله، ولعل اسم عثمان يعد أشهرها حيث ورد في الروايات عند حدوث الصيحة والتي ينادى فيها باسم المهدي (عليه السلام) في فجر ليلة الثالث والعشرون من شهر رمضان من السماء، ويقابله نداء أرضي عصر ذلك اليوم باسم عثمان وإن الحق في شيعته وفي ذلك إشارة إلى السفياني حيث ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال : (...والنداء من المحتوم ... قال وينادي مناد آخر النهار ألا إن عثمان وشيعته هم الفائزون) (٥٦).

ولو تمعنا في هذه الأسماء فلربما تكون أسماء رمزية عن شخصية السفياني، بدليل إن هذه الأسماء أصبحت قديمة وغير متداولة كعنيسة وحرب.

بدليل ما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) يؤكد على عدم أهمية معرفة اسم السفياني في مسألة خروجه، وتكون علامات ذلك هي الأهم، مما يدل على إن تلك الأسماء لا تساعد كثيراً في التعرف على شخصيته، فلو كانت تلك الأسماء هي أسمائه لسهل التعرف عليه من خلالها عند خروجه ولكن يبدو إنها أسماء رمزية لا يعرف حقيقتها إلا المعصومون (عليهم السلام) أو من يفيضون عليه كالداعي اليماني والذي لا بد أن يعرفه حق المعرفة لأنه هو من سيقوم بمواجهته.

٥١ - إلزام الناصب ج ٢ ص ١٦٩

٥٢ - الفتن لأبن حماد ج ١ ص ٢٧٩

٥٣ - الفتن لأبن حماد ج ١ ص ٢٧٩

٥٤ - الفتن لأبن حماد ج ١ ص ٢٨١

٥٥ - شرح إحقاق الحق للمرعشي ج ٢٩ هامش ص ٣٣٩

٥٦ - بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٠٥

جاء عن عبد الله بن أبي منصور عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: (سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن اسم السفيناني فقال: وما تصنع باسمه إذا ملك كور الشام الخمس دمشق وحمص وفلسطين والأردن وقنسرين فتوقعوا عند ذلك الفرج ..) (٥٧).

أما عن أمه فهي امرأة كلبية من بني كلب، وهي أحد القبائل التي كانت تعتق النصرانية في أيام معاوية بن أبي سفيان، وتزوج منها معاوية وهي ميسون الكلبية وهي أم يزيد بن معاوية بن أبي سفيان.

وقد وردت عدة روايات تشير إلى إن السفيناني أمه كلبية منها ما ورد عن الرسول (ﷺ) (تسليماً) أنه قال: (فيغزوهم رجل من قريش أخواله من كلب فيلتقون فيهزمهم الله فالخائب من خاب من غنيمة كلب) (٥٨).

وهكذا نجد إن السفيناني يشبه أسلافه حتى من حيث نسب أمه الذي يعود لبني كلب كما هو حال جده يزيد بن معاوية.

صفاته

أما من حيث الصفات فنجد إن السفيناني يشبه صفات جده أبو سفيان تحديداً وبني أمية عموماً من حيث امتيازهم بضخامة الهامة وتشوه الخلقة (٥٩) .

فلو تتبعنا الروايات بشكل عام نجدها تشير إلى إن السفيناني رجل أشقر ربعة عظيم الهامة وفي وجهه أثر الجدري أعور العين وفي رواية إذا نظرت إليه حسبته أعور، وجاء في عينه أيضاً إنه أخوص وفي أخرى إن فيها نكت بيضاء تظهر إن أمالت عينه مشوه الخلقة. وقد جاء ذكر صفاته في عدة روايات.

الرواية الأولى: عن علي (عليه السلام) أنه قال: (يخرج ابن آكلة الأكباد من الوادي اليابس وهو رجل ربعة وحش الوجه ضخم الهامة بوجه أثر الجدري إذا رأته حسبته أعور اسمه عثمان وأبوه عنيسة وهو من ولد أبي سفيان...) (٦٠).

٥٧ - كمال الدين وتمام النعمة ص ٦٥١

٥٨ - مجمع الزوائد ج ٧ ص ٣١٤

٥٩ - الدابة والنهاية ج ٨ ص ١١٨

الرواية الثانية: (السفياني من ولد خالد بن يزيد بن أبي سفيان رجل ضخم الهامة بوجهه آثار الجدي وبعينه نكتة بياض....)(^{٦١}).

الرواية الثالثة: عن ابن مسعود أنه قال: (يتحرك بإيليا رجل أعور العين فيكثر الهرج ويحل السبا وهو الذي يبعث جيشاً إلى المدينة)(^{٦٢}).
ومن المعلوم إن الذي يبعث جيشاً إلى المدينة هو السفياني.

الرواية الرابعة: عن الرسول محمد (ﷺ) تسليماً) أنه قال: (يخرج رجل من ولد أبي سفيان في الوادي اليابس في رايات حمر دقيق الساعدين والساقين طويل العنق شديد الصفرة ...)(^{٦٣}).

الرواية الخامسة: عن أربطة أنه قال: (ثم يخرج رجل آخر منهم ... مشوه الخلقة مصفح الرأس حمش الساعدين غاير العينين في زمانه تكون هدة)(^{٦٤}).

ونجد إن صفات السفياني هذه تتطابق كلياً مع مواصفات جده أبو سفيان بن حرب خلا بعض الفروقات، حيث ورد في صفات أبو سفيان، إنه رجل ربعة ذا هامة عظيمة أعور العين حيث فقأت عينه يوم الطائف وبقي كذلك إلى أن فقأت عينه الأخرى يوم اليرموك، حيث ورد: (وشهد أبو سفيان حينئذ وفقأت عينه يوم الطائف فلم يزل أعور العين حتى فقأت عينه يوم اليرموك أصابها حجر فشدخها .. وكان ربعة دحداحاً ذا هامة عظيمة ...)(^{٦٥}).

ونجد إن الرواية حينما تذكر إنه شهد معركة حنين مسلماً فهذا هو الإسلام الظاهري وليس الإسلام الحقيقي ومواقفه وكلامه المعادي للإسلام والمسلمين يشهد على ذلك (^{٦٦}).

وكذلك ورد عن أبي بكر أنه قال: (كان معاوية طويلاً أبيض ... إذا ضحك إنقلبت شفته العليا ...)(^{٦٧}).

وجاء عن محمد بن سعيد عن ابن أبي سيف أنه قال: (نظر أبو سفيان يوماً إلى معاوية وهو غلام فقال لهند هذا عظيم الرأس وإنه لخليق أن يسود قومه ...)(^{٦٨}).

^{٦٠} - جوار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٠٥

^{٦١} - الفتن لأبن حماد ص ٢٨٠

^{٦٢} - الفتن لأبن حماد ص ٢٨٣

^{٦٣} - الفتن لابن حماد ص ١٦٦

^{٦٤} - الفتن لابن حماد ص ١٦٦

^{٦٥} - الإستيعاب ج ٤ ص ١٦٨٠

^{٦٦} - ذلك الإستيعاب ج ٤ ص ١٦٨٠، ابن حجر الإصابة ج ٧ ص ٤١٣، تهذيب الأسماء ج ٢ ص ٢٢١، سبل

الإسلام ج ٣ ص ٢١٩

^{٦٧} - البداية والنهاية ج ٨ ص ١١٨

إذن يتبين لنا مما تقدم إن السفيناني الذي يعود نسبه إلى أبو سفينان يشبهه من حيث الصفات الجسمية، وهذا من الجوانب التي تؤيد أن السفيناني هو أبو سفينان في عصر الظهور المقدس للإمام المهدي (عليه السلام) .

الباب الثالث

قيام حركة السفيناني وأنصارها

أولاً: مكان الخروج

تعد بلاد الشام مكان خروج السفيناني وانطلاق حركته والتي تشمل سوريا والأردن وفلسطين ولبنان، وذلك كما كانت من قبل مكاناً لحكم أسلافهم من الأمويين مثل معاوية بن أبي سفينان ويزيد بن معاوية وغيرهم سواء كانوا من الفرع السفيناني أو الفرع المرواني، فالتاريخ يعيد نفسه حيث يصبح العراق مقابل الشام في الصراع والمواجهة العسكرية مرة أخرى، حيث سيكون العراق ممثلاً للخط العلوي وخط أهل البيت (عليهم السلام) والمتمثل بالإمام المهدي (عليه السلام) ودعوته وأنصاره، أما الشام فتمثل للخط الأموي المعادي للإمام المهدي وأهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم وأنصارهم .

ولو تتبعنا الروايات نجد إن أغلبها يشير إلى خروجه من الوادي اليابس تحديداً وهي منطقة تقع في غربي الأردن وشرق فلسطين وجنوب سوريا وبالتحديد جنوب غرب دمشق وعلى بعد أميال منها، ف جاء عن الإمام علي (عليه السلام) أنه قال: (يخرج ابن آكلة الأكباد من الوادي اليابس

وهو رجل ربعة وحش الوجه... وهو من ولد أبي سفيان حتى يأتي أرض قرار ومعين فيستوي على منبرها (٦٩).

وفي رواية عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال: (السفياني من ولد خالد بن يزيد بن أبي سفيان... يخرج من ناحية دمشق في واد يقال له وادي اليابس يخرج في سبعة نفر مع كل رجل منهم لواء معقود يعرفن في أعداءه النصر يسير بين يديه ثلاثين ميلاً فلا يرى ذلك العلم أحد يريد به إلا انهزم) (٧٠).

ويبدو من ظاهر هذه الرواية إن منطقة الوادي اليابس هي ناحية تابعة إلى دمشق إدارياً في الماضي، لأنه من المعلوم إن منطقة الوادي اليابس حالياً تقع ضمن حدود دولة الأردن . وتكون نواة حركته مكونة من سبعة أشخاص يكونون كقادة له وذلك في مرحلة ظهور الحركة الأولى، والتي تأخذ بالاتساع والقوة حتى يتم سيطرته على دمشق ويجعلها عاصمة له، وذلك كما كانت دمشق عاصمة إسلامية للأمميين الذين حكموا الشام من قبل، فضلاً عن سيطرته على بقية مناطق بلاد الشام التي تعرف بالكور الخمس والتي تعني قديماً دمشق والأردن وفلسطين وحمص وقنسرين، والتي لا بد وإنها اندمجت مع بعض المناطق وتغيرت مسمياتها في الوقت الحاضر.

فعن حذيفة بن اليمان أنه قال: (إن النبي ﷺ (تسليماً) ذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب، قال : فينما هم كذلك يخرج عليهم السفياني من الوادي اليابس في فور ذلك حتى ينزل دمشق ..) (٧١).

وجاء عن عبد الله بن أبي منصور أنه سأل الإمام الصادق (عليه السلام) عن اسم السفياني فأجابه (عليه السلام) قائلاً: (وما تصنع باسمه إذا ملك كور الشام الخمس دمشق وحمص وفلسطين والأردن وقنسرين فتوقعوا عند ذلك الفرج ...) (٧٢).

فيتبين لنا من ذلك إن سيطرة السفياني على دمشق وبقية الكور الخمسة هي علامة على قرب الفرج للإمام المهدي (عليه السلام) وقيامه، حيث إن سيطرة السفياني عليها وخروجه منها بمعنى السيطرة العسكرية عليها، والذي لا بد أن تسبقه قبلها مرحلة الأعداد والتنظيم للحركة كما سيأتي، لأنه من غير المعقول بأن تقوم حركة بهذه الخطورة وبهذا الاتساع بأعمال عسكرية دون إعداد

٦٩ - بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٠٥

٧٠ - الفتن لأبن حماد ج ١ ص ٢٧٩

٧١ - بحار الأنوار ج ٥٢ ص ١٨٦

٧٢ - بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٠٦

وتخطيط مسبق، حالها حال أي حركة هدفها الوصول إلى السلطة في بلد ما، بل إنها تعد أعم من ذلك لأنها تشمل السيطرة على عدة مناطق كالأردن وفلسطين والعراق وغيرها من المناطق. وعليه تكون حركة السفيناني هي الأخرى منقسمة إلى مرحلتين الأولى هي مرحلة ظهور الحركة والدعوة لها والتي هي مرحلة جمع العدد والعدة، كما هو الحال مع دعوة الإمام المهدي (عليه السلام)، ولو قارنا بين حركة السفيناني في آخر الزمان وبين حكم أسلافه من آل بني سفيان قديماً نجدته ينطلق من الشام أيضاً. حيث نجد إن أول من شيد الحكم الأموي في بلاد الشام هو معاوية بن أبي سفيان عندما كان والياً على الشام .

ثانياً: أنصار الحركة

بعد أن أثبتنا إن قائدهم من بلاد الشام إذن لا بد أن يكون أنصار حركته من بلاد الشام أيضاً، ولا سيما إن هناك علاقة قوية بين أهل الشام وبين أبو سفيان منذ القدم، مما يدفعهم لنصرة السفيناني في آخر الزمان على اعتبار إنه هو السفيناني الموعود. وقد أكدت الروايات إن أكثر قبائل الشام ستبايع السفيناني وتتاصر حركته، فقد ورد عن الإمام علي (عليه السلام) أنه قال: (فإذا كان ذلك خرج السفيناني ... يخرج في الشام فينقاد له أهل الشام إلا طوائف من المقيمين على الحق يعصمهم الله من الخروج معه ...)^(٧٣). وجاء عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: (حين يقترب السفيناني من دمشق يهرب حاكمها، وتجتمع إليه قبائل العرب، ويخرج الربيعي والجرهمي والأصهب وغيرهم من أهل الفتن والشغب، فيغلب السفيناني من يحاربه منهم ويستولي على الشام ...)^(٧٤). ويظهر لنا من هذه الرواية إن هناك فئات تخرج على السفيناني وتقاتله من أجل السيطرة على الحكم وذلك في وقت تكون فيه السلطة قد أنفرط عقدها وأنفلت أمنها وزمامها، بدليل هرب حاكم دمشق، حيث إن كل هذه الأمور المجتمعة تجعل الأمور مهيأة لسيطرة السفيناني على مقاليد السلطة في دمشق والشام بصورة عامة.

وقد توالى الأخبار والروايات على ذكر بعض القبائل وبعض الشخصيات التي تساند حركة السفيناني وتقوم بقيادة جيوشه، وبطبيعة الحال إن أهم القبائل وأكثرها دوراً في حركته هي قبيلة كلب وهم أخواله كما أسلفنا، إذن يبدو من ظاهر النصوص التاريخية إن عماد حركته وقيامها

^{٧٣} - غيبة النعماني ص ١٦٣ ، يوم الخلاص ص ٦٠٨

^{٧٤} - يوم الخلاص ص ٦٠٧

يعتمد عليهم سواء من حيث العدد أو القيادة أو من ناحية تأثيرهم على القرار السياسي والعسكري للسفياي آنذاك كما سيأتي.

جاء عن الرسول محمد (ﷺ) تسليماً أنه قال: (يخرج رجل يقال له السفياي في عمق دمشق وعامة من يتبعه من كلب ...) (٧٥).

وعن حذيفة بن اليمان عن النبي (ﷺ) تسليماً أنه قال: (إذا خرجت السودان طلبت العرب ... فبينما هم كذلك إذ خرج عليهم السفياي في ستين وثلاثمائة راكب حتى يأتي دمشق فلا يأتي عليه شهر حتى يبايعه من كلب ثلاثون ألفاً فيبعث جيشاً إلى العراق ...) (٧٦).

كما ورد عن الأصبغ بن نباتة عن الإمام علي (عليه السلام) أنه قال: (وخروج السفياي براءة حمراء أميرهم رجل من بني كلب واثنان عشر ألف عنان من جيش السفياي تتوجه إلى المدينة ...) (٧٧).

لذلك تكون كلب المادة الرئيسية للجيش التي سيوجهها السفياي إلى مكة والمدينة فضلاً عن العراق من أجل السيطرة عليها أو لتعقب الإمام المهدي (عليه السلام) وأنصاره. أما القبيلة الثانية التي لها دور في حركة السفياي فهي قبيلة غطفان، وذلك الدور يمكن تلمسه من خلال بروز بعض قادة جيوشه من أبناء هذه القبيلة، مما يعني مشاركة أبناء قبيلة غطفان بشكل عام في جيش السفياي.

حيث ورد عن الإمام علي (عليه السلام) في كتاب بعثه إلى معاوية بن أبي سفيان قبيل وقعة صفين جاء فيه: (وخروج السفياي براءة حمراء ... ثم يعود إلى مكة في جيش أميره من غطفان ...) (٧٨).

فضلاً عن بعض القبائل الأخرى من جبهة وفصاعة الذين لهم دور في حركة السفياي سواء من ناحية قيادة الجيوش أو مشاركة أبناءها فيها (٧٩).

ولو عدنا بعجلة التاريخ إلى صدر الإسلام من أجل المقارنة بين السفياي وبين أبو سفيان بن حرب وآل أبي سفيان، نجد إن هذه القبائل كانت لها علاقة بالأمويين وبآل أبي سفيان على وجه الخصوص وشاركت إلى جانبهم في حروبهم ضد المسلمين، فبالنسبة لقبيلة كلب وكما ذكرنا آنفاً علاقتها ببني أمية وتزويج معاوية من ميسون أم يزيد بن معاوية، أما بالنسبة لقبيلة غطفان فهي

٧٥ - عقد الدرر ص ٧٣

٧٦ - السنن الواردة في الفتن ج ٥ ص ١٠٩

٧٧ - بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٧٣

٧٨ - بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٧٢

٧٩ - بحار الأنوار ج ٥٢ ص ١٨٦ ، يوم الخلاص ص ٦٠٤

من القبائل المشهورة في ولاءها للأمويين منذ عصر صدر الإسلام، حيث شارك أفرادها إلى جانب أبو سفيان بن حرب وقريش ضد المسلمين في يوم الأحزاب (معركة الخندق). حيث ورد إن جماعة من اليهود قدموا مكة للاتفاق مع قريش وبعض القبائل على حرب الرسول محمد (ﷺ) تسليماً) ومنها قبيلة غطفان جاء فيها: (ثم كانت غزوة الخندق وهي الأحزاب ... فخرجوا إلى غطفان ودعواهم إلى حرب رسول الله (ﷺ) تسليماً) وأخبروهم بإتباع قريش فاجتمعوا معهم، وخرجت قريش وقائدها أبو سفيان وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن (...)(^{٨٠}). فنلاحظ هنا كيف إن غطفان كانت تحت إمرة وقيادة أبو سفيان يوم الخندق كثاني أكبر قبيلة شاركت في تلك الواقعة إلى جانب عشيرة بني سليم وفزارة فضلاً عن يهود قريش بالدرجة الأولى(^{٨١}).

فرى هنا إن التاريخ يعيد نفسه فهذه القبائل التي ساندت أبو سفيان عدو الرسول الأول ستناصر السفيناني في آخر الزمان في حربه ضد المهدي (عليه السلام) ودعوته وأنصاره ، وهذا مما يدل على حقيقة إن السفيناني هو أبو سفيان في عصر الظهور والذي سيقضي عليه وعلى حركته الإمام المهدي (عليه السلام) كما فعل جده رسول الله (ﷺ) تسليماً) من قبل عندما قضى على عنجهية وتغطرس أبو سفيان بوجه خاص وقريش بشكل عام عند فتح مكة .

ثالثاً: مدة ملكه

اتفقت جميع المصادر ومن كلا الفريقين بأن مدة ملك السفيناني وحكمه يكون تسعة أشهر لا غير، عدا ورود بعض الروايات التي تشير إلى ان تلك المدة أقل أو أكثر من ذلك بقليل، وفي الحقيقة إن فترة التسعة أشهر هذه التي يملك فيها السفيناني إنما هي مدة حكمه لبلاد الشام الفعلية، ناهيك عن الفترة التي تسبقها والمتمثلة بحركته العسكرية للسيطرة عليها والتي حددتها بعض الروايات إجمالاً بخمسة عشر شهراً كما سيأتي لاحقاً، بيد إن نفس هذه الخمسة عشر شهراً لا بد وأن تسبقها فترة زمنية ليست بالقصيرة لأجل الإعداد لمثل هذا العمل العسكري الواسع الذي سيثمل السيطرة على بلاد الشام ككل ثم السيطرة بعدها على العراق والحجاز . فإننا لو جننا إلى أي حركة أو ثورة في العالم قديماً أو حديثاً جاءت لقلب نظام الحكم في دولة واحدة فإنها بالتأكيد ستحتاج إلى أكثر من خمسة عشر شهراً من أجل الإعداد المادي والعسكري والمعنوي والثقافي، مضافاً إلى الوقت الذي سيحتاجه ذلك العمل العسكري من تخطيط ودراسة

^{٨٠} - أعلام الوري ص ٩٠

^{٨١} - تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٣٣، البداية والنهاية ج ٨ ص ١٤٥، أعلام الوري ص ٩٠، تفسير القمي ج ٢

تستلزم وقت أكثر بكثير من ذلك الوقت هذا في حالة قلب نظام حكم في دولة واحدة فكيف بحركة كبيرة كحركة السفيناني التي تشمل السيطرة على أربعة دول أو أكثر. ولا تقف خطورة حركة السفيناني وأهميتها وسعتها على ذلك فقط بل إن سر خطورتها يكمن في إنها موجهة ضد قضية الإمام المهدي (عليه السلام) ومحاولة وئدها وإجهاضها، حيث تعد من أشد الفتن التي حذر الرسول محمد والأئمة (عليهم الصلاة والتسليم) المسلمين منها. إذن لابد وأن تحتاج هذه الحركة من بداية ظهورها إلى أن تتم لها السيطرة وقت طويل لدعوة الأنصار والمؤيدين وإقناعهم بها وبقائدها السفيناني وبفكره المحرك لها، ثم بعد أن يتم له ذلك يقوم بمرحلة العمل العسكري ليسيطر على المناطق المعينة التي يريد أن يسيطر عليها وبطبيعة الحال فهذه المراحل تحتاج إلى وقت طويل نسبياً للقيام بها. ولو عدنا إلى الروايات نجد أنها تنقسم إلى ثلاثة اتجاهات تنصب في تحديد الفترة الزمنية لملك السفيناني.

الاتجاه الأول: يقرر إن مدة حكمه هي تسعة أشهر فقط، حيث ورد عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال: (وكفى بالسفيناني نقمة لكم من عدوكم وهو من العلامات لكم ... وإنما فتنته حمل امرأة تسعة أشهر ولا يجوزها إن شاء الله تعالى)^(٨٢).

وجاء أيضاً عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: (إذا استولى السفيناني على الكور الخمس فعدوا له تسعة اشهر)^(٨٣).

وكذلك ورد عن محمد بن مسلم عن الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام) أنه قال: (اتقوا الله واستعينوا على ما أنتم عليه بالورع والاجتهاد في طاعة الله... وإنما فتنته حمل امرأة تسعة أشهر ولا يجوزها إنشاء الله...)^(٨٤).

فيتضح من هذه الروايات إن هذه الفترة هي فترة ملكه وسيطرته على بلاد الشام وحكمها فقط مستثناة منها مدة العمل العسكري الذي يستغرقه ذلك الأمر بدليل إشارة الروايات صراحة بلفظ يملك السفيناني أو إذا استولى على الكور الخمسة فعدوا له تسعة أشهر وهكذا، وذلك من حيث إن مدة استيلاءه على بلاد الشام شيء ومدة السيطرة والحكم الحقيقي شيء آخر . أما الاتجاه الثاني من الروايات جاء ليحدد مدة ملك السفيناني بتسعة أشهر بالإضافة إلى تحديد فترة العمل العسكري التي تسبقها والتي يكون مجموعها معاً خمسة عشر شهراً.

^{٨٢} - بحار الأنوار ج ٥٢ ص ١٤١

^{٨٣} - بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٥٢

^{٨٤} - غيبة النعماني ص ٣٠٠

فمن عيسى بن أعين عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: (السفيناني من المحتوم وخروجه في رجب ومن أول خروجه إلى آخره خمسة عشر شهراً ستة أشهر يقاتل فيها فإذا ملك الكور الخمس ملك تسعة أشهر ولم يزد عليها يوماً واحداً)^(٨٥).

وجاء أيضاً عن الإمام الصادق (عليه السلام) : (من أول خروجه إلى آخره خمسة عشر شهراً يقاتل فيها ثم يملك تسعة أشهر لا يزيد يوماً، إذا كان ذلك فإلينا ...)^(٨٦).

وأخيراً يتبين لنا من خلال ما تقدم إن مدة ملك السفيناني على بلاد الشام تكون تسعة أشهر تسبقها فترة الأعمال العسكرية التي يقوم بها للسيطرة على المنطقة والتي تكون مدتها ستة أشهر، والتي لا بد أن تسبقها فترة لظهور الحركة ككل وإعدادها بصورة عامة قبل القيام بالعمل العسكري، بيد أنه من الممكن جداً أن تكون هذه الفترة الزمنية خاضعة لقانون البدء من حيث إنها تزيد أو تنقص بحسب الظروف التي تواجبها .

السفيناني وعداءه لأهل البيت (عليه السلام)

إن السفيناني وحزبه هم أولياء الشيطان وحزبه الذين يعادون الإمام المهدي (عليه السلام) وحزبه وهم أولياء الرحمن عز وجل، وهذان هما طرفا المعادلة الباقيين ما دام إبليس قائماً وناصباً نفسه داعياً للضلال والإلحاد والكفر بالله تعالى.

ومما لا يقبل الشك أن يقف السفيناني في وجه الإمام المهدي (عليه السلام) وصاحب دعوته السيد اليماني ويكنّ لهم العداة الذي هو امتداد للعداء الأموي القديم الذي كان أجداد السفيناني يكنونه للرسول محمد (ﷺ) تسليماً، ومما يروى في ذلك ما جاء عن الحكم بن سالم عن حدثه عن الإمام الصادق (عليه السلام): (إنا وآل أبي سفيان بيتين تعاديننا في الله قلنا صدق الله وقالوا كذب الله، قاتل أبو سفيان رسول الله (ﷺ) تسليماً) وقاتل معاوية علي بن أبي طالب (عليه السلام) وقاتل يزيد بن معاوية الحسين بن علي (عليه السلام) والسفيناني يقاتل القائم (عليه السلام))^(٨٧).

والصراع بين هذين البيتين يمثل الصراع بين الخير والشر والذي يمتد إلى زمان قيام القائم (عليه السلام) الذي سوف يجتث الظلم والظالمين من أصولهم ويأتي على بنيانهم من القواعد بعون الله تعالى.

^{٨٥} - غيبة النعماني ص ٢٩٩

^{٨٦} - بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٤٨ ، غيبة النعماني ص ٢٩٩ ، يوم الخلاص ص ٦١٧

^{٨٧} - بحار الأنوار ج ٥٢ ص ١٩٠ ، معاني الأخبار ص ٣٤٦ ، يوم الخلاص ص ٦٠٦

ولعل في مواقف أبو سفيان المعادية للرسول (ﷺ تسليماً) وتأليب الناس عليه وجمع الجموع لحربه والقضاء على دعوته خير شاهد على ذلك العداة أيام خلافة أمير المؤمنين (عليه السلام) والمتمثل بمواقف معاوية بن أبي سفيان الذي جيش الجيوش وقاد حرب ضروس ضد علي (عليه السلام) في حرب صفين، أما موقف يزيد من الإمام الحسين (عليه السلام) فأشهر من نار على علم، وتعدى الأمر من العداة لأهل البيت إلى أتباعهم وشيعتهم حيث كان الأمويون يسومونهم سوء العذاب والتشريد والحرمان والقتل .

هذه الحقائق التاريخية الواضحة للعيان ستتكرر مرة أخرى في عصرنا عصر الظهور الشريف للإمام المهدي (عليه السلام) وتحديداً قبيل قيام القائم وما بعد قيامه الشريف والمستهدف الأول فيها إمام الزمان (عليه السلام) وبما إنه غائب فإن صاحب دعوته السيد اليماني سيكون هو المستهدف من قبل السفيناني (أبو سفيان العصر) وبالتالي ستحمل أتباع المهدي وأنصاره جزءاً من هذا العداة كما تحمل أسلافهم من عداة بنو أمية، فالعداء هو هو ولكن الأشخاص تغيروا بتغير الزمان والمكان، فإذا كان أبو سفيان حارب أهل البيت بالسيف والرمح والقوس فقد أصبحت الأسلحة اليوم البنادق والمتفجرات والمفخخات وهو أمر ذكرته الروايات الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام) وهو قولهم : (يخرج السفيناني وبيده ثلاثة قصبات لا يقرع بهن أحداً إلا مات)⁽⁸⁸⁾ ولا يمكن حمل هذه الرواية على ظاهرها لأنه لا يمكن قتل إنسان بمجرد قرعه بقصبة، بل إن المقصود بالقرع هو الانفجار الذي تحدثه القصبات الثلاثة التي تتكون منها القنابل التي يستخدمها الإنتحاريون في تفجير الناس فالقصبات الثلاثة هي عبارة عن مادة التفجير وجهاز التفجير والصاعق والتي لا يقرع بها أحد إلا مات نتيجة انفجارها .

ومواقف السفيناني تلك يمكن التعرف عليها عن طريق التعرف على تحركاته بعد سيطرته على الحكم في بلاد الشام وتحديداً في دمشق .

إلا أن هناك طوائف يبغون مقيمين على الحق ولا ينصرون السفيناني أو يدخلون فيما دخل فيه أهل الشام من حرب الإمام المهدي (عليه السلام) وهؤلاء حتماً ممن يعرف عنهم الولاء لأهل البيت (عليهم السلام) إلا أن هذا الصنف من الناس لا ينجون من السفيناني وسيفه إذ يعمل الأخير على استدراجهم ومن ثم القضاء عليهم بل وردت رواية تؤكد إن المستهدفين هم أولاد رسول الله (ﷺ تسليماً) الذين يتواجدون في بلاد الشام، فقد ورد عن الإمام الباقر (عليه السلام) في معرض حديثه عن السفيناني وحركته: (... وبعد دخوله دمشق يهرب منها أولاد رسول الله

إلى قسطنطينية فيطلبهم ويردهم ملك الروم إليه فيضرب أعناقهم على الدرج الشرقي في جامع دمشق فلا ينكر عليه ذلك أحد (٨٩).

يتبين من هذه الرواية إن هؤلاء الهاربين هم من أولاد رسول الله (ﷺ) تسليمياً أي من السادة المتواجدون في دمشق ولجؤهم إلى ملك الروم وإرجاعهم من قبل الروم يرمز إلى وجود علاقة حميمة بين السفيناني والروم أو وجود مصالح مشتركة بينهم.

ثم إن خروج تلك الجماعة من أولاد رسول الله (ﷺ) تسليمياً لا تخلوا من أمرين أما أن تكون أعدادهم كبيرة إلى حد الهجرة الجماعية إلى بلاد الروم وهذا ما لا ترضاه بعض الدول وهو أمر نشاهده اليوم من لجوء بعض الناس إلى الدول الأوروبية فتقبلهم تلك الدول تارة وترفضهم تارة أخرى حسب الظروف المحيطة.

وطلبهم اللجوء السياسي من ملك الروم وعند معرفة السفيناني بذلك يقوم بالمطالبة بهم ويستجاب طلبه، وإن عمله ينبع من حقه على أهل البيت (عليهم السلام) وهذا ما نلمسه من طريقة قتله إياهم وضربه أعناقهم عند جامع دمشق الذي بني على هذا العدا، فليس غائباً عنا نصب رأس الحسين (عليه السلام) على الرمح في هذا المسجد وعياله ونساءه سبايا.

فهذا الفرع من ذاك الأصل وهذا العدا من ذلك العدا والحد لأهل البيت (عليهم السلام) وقد حذر أهل البيت من الشام والبقاء فيها عند ظهور الفتن والقتل، ففي رواية عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال: (إذا سمعتم باختلاف أهل الشام فيما بينهم فالهرب الهرب من الشام فإن القتل فيها والفتنة) (٩٠).

ولو عدنا إلى رواية قتل أولاد الرسول (ﷺ) تسليمياً عند جامع دمشق لوجدنا إن الواقع وراء ما قام به السفيناني هو دافع ديني وليس سياسي بدليل إن السفيناني قام بقتلهم أمام الناس مع ما به من إرهاب من تحدته نفسه في الخروج على سلطانه والحال إنه بالإمكان قتلهم ولكن ليس بهذا الجهر والإعلان.

ومن الجدير بالذكر إن حركة السفيناني سوف لا تخرج عن نطاق سياسة اتخاذ الدين ستاراً لها ودليل ذلك هو استعانة السفيناني بالعلماء ورجال الدين ومن خالفه منهم قتله فقد ورد عن نهج السفيناني: (يقتل العلماء وأهل الفضل ويفنيهم ويستعين بهم فمن أبى عليه قتله) (٩١).

وأظهرته بعض الروايات بمظهر المتعبد فجاء في وصفه: (شديد الصفرة من أثر العبادة) (٩٢). وهذا دليل على تستره بالدين لخداع أنصاره ومؤيديه ومن حوله.

٨٩ - الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٦٠ ، يوم الخلاص ص ٦٠٢

٩٠ - بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٧١ ، بشارة الإسلام ص ١٠٩ ، يوم الخلاص ص ٥٩٧

٩١ - الفتن لأبن حماد ص ٧٦

أما الرواية التي أشارت إلى قتل العلماء واستعانت به بأخرين منهم فالمعنى واضح منها، وهو إن من يقتلهم من العلماء هم ممن يخالفوه في الرأي أو على غير مذهبه وقد يكونوا على مذهب أهل البيت (عليهم السلام) من المقيمين في بلاد الشام وخاصة دمشق.

وعند تصفية الأوضاع الداخلية في بلاد الشام وسيطرته على مقاليد الحكم فيها بقبضة من حديد يتوجه إلى بلدان أخرى في مقدمتها العراق لغرض السيطرة عليه لأنه على علم إن العراق هو عاصمة الإمام المهدي (عليه السلام) ومقر ومركز دعوته المباركة.

وفيما يخص العراق فإنه يكون غاية هم السفيناني، ويضع السيطرة عليه على رأس أولوياته لأن العراق كما أسلفنا يكون عاصمة دولة الإمام (عليه السلام) ومركز حركته ثم إن غالبية أهل العراق هم من الموالين لأهل البيت (عليهم السلام) الذين يبغضهم لبغضه لأهل البيت (عليه السلام) لذا فإنه يجد متفهماً لإظهار هذا الحقد عند احتلاله العراق فيسومهم قتلاً وصلباً وسبياً ويكون هذا الأمر هو شغله الشاغل، فعن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال: (فيظهر السفيناني ومن معه حتى لا يكون له همة إلا آل محمد ﷺ تسليماً وشيعةً)^(٩٣).

والملفت للنظر إن الروايات الشريفة تتحدث أيضاً عن شخص آخر يسمى بـ (صاحب السفيناني) أو السفيناني الثاني وإن دخوله العراق يسبق دخول السفيناني الرئيسي، وصاحب السفيناني هذا سوف ينتهي به المطاف إلى الموت في منطقة ما بين العراق والشام، فقد ورد عن عمر بن أبان الكلابي عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) أنه قال: (كأي بالسفيناني أو بصاحب السفيناني قد طرح رحله في رحبتكم بالكوفة ...)^(٩٤).

وصاحب السفيناني يكون محور نشاطه أيضاً بلاد الشام والعراق ولا يستبعد أن يكون على طليعة جيش السفيناني الرئيسي والقائد الأعلى لقواته أو بعبارة أخرى هو المسؤول عن حركة السفيناني وظهورها وجمع العدة والعدد والتنظيم.

ففي رواية: (تفرق الناس والعرب... فتكون الغلبة لقضاة وعليهم رجل من ولد أبو سفينان... ثم يستقبل السفيناني فيقاتل بني هاشم وكل من نازعه من الرايات الثلاثة وغيرها فيظهر عليهم جميعاً، ثم يسير إلى الكوفة ويخرج بني هاشم إلى العراق ثم يرجع من الكوفة فيموت في أدنى الشام ويستخلف رجلاً آخر من ولد أبي سفينان فتكون الغلبة له ويظهر على الناس وهو السفيناني)^(٩٥).

٩٢ - الفتن لأبن حماد ص ٧٥

٩٣ - بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٣٧

٩٤ - بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢١٥

٩٥ - الفتن لأبن حماد ص ١٧٣

يستفاد من هذه الرواية إن صاحب السفيناني سفيناني النسب أيضاً أي يرجع نسبه إلى أبي سفينان وفحوى النص يشير إلى أن صاحب السفيناني لا يعبر عنه بالسفيناني بل يرمز له بلفظ مغاير يختلف عن السفيناني الرئيسي الذي عبر عنه في الرواية بالسفيناني.

وهناك رواية أخرى أوردتها ابن حماد تشير إلى وجود سفينانيين اثنين جاء فيها: (إذا غلبت قضاة وظهرت على المغرب فأتى صاحبهم بني العباس فيدخل ابن أختهم الكوفة مع من معه فيخربها ثم تصيبه بها قرحة ويخرج منها يريد الشام فيهلك بين العراق والشام ثم يولون عليهم رجلاً من أهل بيته فهو الذي يفعل بالناس الأفاعيل ويظهر أمره وهو السفيناني...)(^{٩٦}).

والظاهر من الرواية إنه يوجد صلة قرابة بين السفيناني الأول أو صاحب السفيناني وقضاة وإنما من ناحية الأم بدليل نعتة بـ(ابن أختهم) وهذا ما لا ينطبق على السفيناني الرئيسي الذي سبق القول بأن له صلة قرابة بقبيلة كلب وإنما أخواله مما يعني وجود سفينانيين.

ثم إن السفيناني لا يموت إلا بعد قيام الإمام المهدي (عليه السلام) وتكون نهايته وقتله على يده بينما الرواية السابقة تتحدث عن موت رجل من آل أبي سفينان أو (صاحب السفيناني) ما بين الكوفة والشام لقرحة تصيبه مم يعني إن المقصود به هو شخص آخر غير السفيناني الرئيسي الذي يكون أكثر قوة وعنفاً ودموية من الأول لأنه هو من وعد الناس به وأنه يفعل بهم الأفاعيل لا شخص آخر الذي يسير على نفس منهجه الدموي العنيف ولكن بشكل أخف وطأة مما عليه الحال بالنسبة للسفيناني.

وكذلك ورد عن ارطأة قال: (في زمان السفيناني الثاني تكون الهدة حتى يظن كل قوم إنه قد خرب ما يليهم..)(^{٩٧}).

مما يقف دليلاً آخر علة وجود سفينانيين، وجاء في رواية عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: (السفيناني أحمر أشقر أزرق لم يعبد الله قط ولم يرى مكة ولا المدينة قط يقول يارب ثأري والنار يارب ثأري والنار)(^{٩٨}).

ولعل السفيناني الثاني ينادي بثأر صاحبه (صاحب السفيناني) الذي يموت كما أسلفنا مما يجعله مغتاضاً لقتله فيطالب بثأره، وهذا أمر عرف عن جده أبي سفينان الذي نادى بثأر قتلى بدر من المشركين وجيش الجيوش لقتال المسلمين فكانت واقعة أحد التي خاضها أبو سفينان ثأراً لما حل

^{٩٦} - الفتن لأبن حماد ص ١٧٦

^{٩٧} - الفتن لأبن حماد ص ١٤٤

^{٩٨} - بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٥٣، غيبة النعماني ص ٣٠٦

بهم يوم بدر وأقبل عند نهاية المعركة رافعاً صوته بمسمع من الرسول (ﷺ) تسليماً) وأصحابه منادياً (يوماً بيوم إن الأيام دول وإن الحرب سجال)^(٩٩).

ولا يستبعد أن يكون في رفع السفيناني شعار الثأر ومناداته به من باب المقابلة للشعار الذي ينادي به الإمام المهدي (عليه السلام) وأصحابه للمطالبة بثأر الإمام الحسين (عليه السلام) وهو شعار (يالثرات الحسين).

أما ما يتعلق باحتلال جيش السفيناني للعراق فالذي يبدو من سياق الروايات إن هذا الجيش عند دخوله إلى العراق يتوجه إلى الزوراء (بغداد) بغية السيطرة عليها ومن هناك يتجه إلى الكوفة ومن ثم إلى غيرها من المناطق الأخرى، وهذا الأمر طبيعي لأن بغداد هي عاصمة العراق لتواجد مركز الحكم والقيادة فيها فإن السيطرة عليها يعني السيطرة على العراق، وفي سيطرة جيش السفيناني عليها يقوض الحكم المتمثل بحكومة بني العباس، والقضاء على هذه الحكومة يعني خضوع العراق رسمياً للسفيناني بعد احتلاله.

ففي رواية عن حذيفة عن النبي (ﷺ) تسليماً) أنه قال: (فبينما هم كذلك في ستين وثلاثمائة راكب حتى يأتي دمشق فلا يأتي عليه شهر حتى يبايعه من كلب ثلاثون ألفاً فيبعث جيشاً إلى العراق فيقتل بالزوراء مائة ألف وينحدر إلى الكوفة فينهبونها..)^(١٠٠).

والظاهر إن سرعة احتلال جيش السفيناني لبغداد وسهولة توجهه إليها تعود إلى ضعف حكومة بني العباس آنذاك نتيجة الأختلاف فيما بينهم مما يجعلها عاجزة عن مواجهة جيش السفيناني وما يصاحب ذلك من فوضى وانفلات في الوضع الأمني مما يتيح للسفيناني سرعة الانقضاض على العراق واحتلاله، وهذا ما صرح به الإمام الصادق (عليه السلام) عندما سأله يعقوب بن السراج: (متى فرج شيعتكم قال: إذا اختلف ولد العباس ووهي سلطانهم وطمع فيهم من لم يكن يطمع...)^(١٠١).

ثم لا ننسى إن جيش السفيناني يكون دخوله من الأراضي السورية المحاذية لأرض العراق في المنطقة الغربية التي لا يستبعد تعاون قادتها مع جيش السفيناني وتسهيلهم لمهمة الوصول إلى بغداد، وهذا لا يعني إن جميعهم سوف يقفون مع السفيناني بل قسم منهم أما القسم الآخر فيكونون واقعين تحت ضغط هؤلاء وليس لديهم حول ولا قوة ولا يستطيعون لجيش السفيناني ردعاً ولا لأمره دفعاً.

^{٩٩} - بحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢١

^{١٠٠} - السنن الواردة في الفتن ج ٥ ص ١٠٩٠

^{١٠١} - بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٤٢ ، الصراط المستقيم ج ٢ ص ٢٥٨

وعند دخول جيش السفيناني إلى بغداد فإنه سوف يخربها ويسوم أهلها قتلاً ويستبيح المدينة ثلاثة أيام فعن الإمام الصادق (عليه السلام) متحدثاً عما يجري في تلك الأثناء أنه قال: (ويعم العراق خوف شديد لا يكون معه قرار ويقع الموت الذريع بعد أن يدخل جيشه إلى بغداد فيبيحها ثلاثة أيام ويقتل من أهلها ستين ألفاً ويقتل سبعين ويخرب دورها ثم يقيم بها ثماني عشرة ليلة فيقسم أموالها ويكون اسلم مكان فيها الكرخ)^(١٠٢).

وهذا دليل على قسوة السفيناني وشدته مع المواليين لأهل البيت، وهو بذلك يشابه أجداده من آل أبي سفيان فليس بعيد عن الأذهان ما فعلته هند زوجة أبي سفيان مع حمزة بن عبد المطلب وتمثيلها بجثمانه الطاهر الشريف .

وقد أكد أئمة أهل البيت (عليهم السلام) على دمار بغداد وما تلاقيه من هوان بعد غضارة العيش وسعة الحال وحذروا من مغبة البقاء فيها لما سيصيبها من بلاء فقد جاء في ذكرها: (تكون الزوراء محل عذاب الله وغضبه وتخربها الفتن وتتركها جماء فالويل لها ولمن بها كل الويل من الرايات الصفر ورايات المغرب ومن يجلب في الجزيرة ومن الرايات التي تسير إليها من قريب ومن بعيد والله لينزلن بها من صنوف العذاب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت بمثله ولا يكون طوفان أهلها إلا بالسيف فالويل لمن اتخذها سكناً فإن المقيم بها يبقى لشقائه والخارج منها برحمة الله، فوالله إن بغداد لتعمر في بعض الأوقات حتى إن الرائي يقول هذه هي الدنيا وإن دورها وقصورها هي الجنة وإن بناتها هن الحور العين وإن ولدانها هم الولدان وليظنن إن الله لم يقسم الرزق إلا بها وليظهرن بها من الافتراء على الله ورسوله والحكم بغير كتابه ومن شهادات الزور وشرب الخمر وإتيان الفجور وأكل السحت وسفك الدماء ما لا يكون في الدنيا كلها إلا دونه ثم يخربها الله بتلك الفتن وتلك الرايات حتى يمر المار فيقول ها هنا كانت الزوراء)^(١٠٣).

وأشارت الرواية إلى حالة الخوف التي تشمل العراق عموماً وبغداد خصوصاً والتأكيد على إن أسلم المواضع فيها الكرخ ولا غرابة في ذلك لأن الكرخ لا يتواجد فيها الكثير من الشيعة على عكس الرصافة التي يسكنها غالبية الشيعة والتي تكون هدفاً للسفيناني وجيشه.

١٠٢ - بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢١٥، غيبة الطوسي ص ٢٧٣، بشارة الإسلام ص ٥٧، ١٢٤ يوم الخلاص

فذكر أحمد بن زكريا عن الرضا (عليه السلام) الذي سأل ابن زكريا قائلاً: (أين منزلك ببغداد قلت الكرخ قال أما إنه أسلم موضع ولا بد من فتنة صماء صيلم يسقط فيها كل وليجة وبطانة...) (١٠٤).

وفي رواية أخرى حول دخول جيش السفيناني إلى بغداد: (يدخل مدينة الزوراء فكم من قتيل وقتيلة ومال منتهب رحم الله من آوى نساء بني هاشم يومئذ وهن حرمتي...) (١٠٥).

مما يدل على القتل الوحشي وانتهاك الحرمات، أما الكوفة فيكون هم السفيناني الوصول إليها ويصبح شغله الشاغل هو احتلالها فيبعث جيشاً إلى الكوفة وعدتهم سبعون ألفاً فيصيبون أهل الكوفة قتلاً وسبياً وفي رواية إن عددهم مئة وثلاثون ألف مقاتل وينتهج هذا الجيش الجرار سياسة الأرض المحروقة فلا يمر بشيء إلا دمره ويهلك الحرث والنسل ولا يبقى بيت إلا دخله من ظلمهم شيء فقد جاء عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: (والله لا يزالون حتى لا يدعوا محرماً إلا استحلوه ولا عقداً إلا أحلوه حتى لا يبقى بيت مدر ولا وبر إلا دخله ظلمهم وينابه سوء رعيهم حتى يقوم باكيان باك يبكي لدينه وباك يبكي لديناه) (١٠٦).

مما يعني إن فتنة السفيناني هي من الفتن العامة التي يعم بلائها ويشمل البر والفاجر وذلك لأن الجيوش المحتلة عادة ما يرافق دخولها إلى البلد المحتل اضطراب الأوضاع وفقدان الأمن وزعزعة النظام مما يشجع على القيام بمثل تلك الأعمال من قبل ضعاف النفوس.

روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال عن السفيناني: (يبعث مئة وثلاثون ألفاً إلى الكوفة وينزل الروحاء والفاروق فيسير منها ستون ألفاً حتى ينزلوا الكوفة موضع قبر هود بالنخيلة فيهجمون إليهم يوم الزينة وأمير الناس جبار عنيد يقال له الكاهن الساحر فيخرج من مدينة الزوراء إليهم أمير في خمسة آلاف من الكهنة ويقتل على جسرها سبعين ألفاً يتحامي الناس من الفرات ثلاثة أيام من الدماء وتنت الأجساد...) (١٠٧).

الرواية الثانية عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: (... ويبعث السفيناني جيشاً إلى الكوفة وعدتهم سبعون ألفاً فيصيبون من أهل الكوفة قتلاً وصلباً وسبياً...) (١٠٨).

ويبدو إن جيش السفيناني هذا يتدرج في احتلال المناطق الواقعة ما بين الكوفة وبغداد (الزوراء) محاولاً السيطرة على الطريق الواصل بين المدينتين لتأمين هذا الطريق وللحفاظ على جيشه من

١٠٤ - بحار الأنوار ج ٥١ ص ١٥٥

١٠٥ - الملاحم والفتن ص ١١٢

١٠٦ - يوم الخلاص ص ٥٩١

١٠٧ - بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٧٢

١٠٨ - بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٣٧

أي هجوم مباغت من الخلف مع سلوكه طريق يتتبع فيه مجاري الأنهار وما يتوفر على جوانبها من أراضي مزروعة التي توفر لجيشه المؤونة .

وهذا التفاوت بين أعداد الجيش المتوجه إلى الكوفة مرده إلى أن الجيش الأصلي المرسل إليها هو مئة وثلاثون ألفاً إلا أن قطعات من هذا الجيش وفي إطار تمشيط المناطق المحاذية للكوفة وتأمينها تنفرد عن هذا الجيش فيكون عدد الجيش المتبقي منها سبعون ألف مقاتل وهي أول القطعات الداخلة إلى الكوفة لغرض احتلالها .

وعند دخول جيش السفيناني إلى الكوفة يسببها ثلاثة أيام ويقتل من أهلها ستون ألفاً على أقل تقدير ويمكث فيها ثمانية عشر ليلة يذيق أهلها فيها الأمرين، ولا يكون له هم إلا آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً) وشيعتهم.

وقد وصف أمير المؤمنين (عليه السلام) ما يفعله السفيناني بقوله: (كأنني به قد نعق بالشام وفحص برأيته في ضواحي كوفان فعطف عليها عطف الضروس وفرش الأرض بالرؤوس وقد فغرت فاغرته وثقلت في الأرض وطئته بعيد الجولة عظيم الصولة والله ليشردنكم في أطراف الأرض حتى لا يبقى منكم إلا القليل كالكحل في العين) (١٠٩).

وهذه سنة من كان قبله من آبائه وأجداده في تعاملهم مع أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم، وقد أشار أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى هذا المعنى في قوله: (وأيم الله لتجولن بني أمية أرباً سوء لكم بعدي كالناب الضروس تغط بغيها وتخبط بيدها وتضرب برجلها وتمنع درها ولا يزالون بكم حتى لا يتركوا في مصركم إلا تابعاً لهم ولا يزال بلاءهم بكم حتى لا يكون انتصار أحدكم منهم إلا مثل انتصار العبد من ربه إذا رآه أطاعه وإذا توارى عنه شتمه ...) (١١٠).

والمقصود بانتصار العبد من ربه ليس المقصود من ربه هو الله بل سيده ومالكه كأن يقال رب الأسرة أو رب الإبل أي مالكها، وهو واقع الحال في تعامل العراقيين مع بني أمية قديماً وهذا ما سينتكر فعله عند دخول جيش السفيناني إلى العراق.

وقد حث أئمة أهل البيت (عليهم السلام) على أن تغيب الرجال وجوهها في ظل هذه الظروف حفاظاً على حياتهم وحقناً لدمائهم ففي رواية الحضرمي أنه قال: (قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) كيف نضنع إذا خرج السفيناني قال تغيب الرجال وجوهها منه ...) (١١١).

١٠٩ - بحار الأنوار ج ٣١ ص ٥٤٩ ، شرح نهج البلاغة ج ٩ ص ٢٤٦ ، يوم الخلاص ص ٥٩١

١١٠ - بحار الأنوار ج ٣٣ ص ٣٦٦ ، شرح نهج البلاغة ج ٧ ص ٤٤ ، الغارات ج ١ ص ٣

١١١ - بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٧٢

ولا يكتفي السفيناني بقتل الرجال بعد دخوله الكوفة بل يقوم بسبي النساء فقد جاء عن علي (عليه السلام) قوله: (يسبي من الكوفة ألف بكرلاً يكشف عنها قناع حتى يوضعن في المحامل ويذهب بهن إلى الثوية وهي الغرية ...)^(١١٢).

إلى أن يتيح الله تعالى لهن راية الهدى (جيش اليماني) ليستتقدوهن من جيش السفيناني ^(١١٣). وتذكر المصادر احتلال أجزاء أخرى من العراق فضلاً عن الكوفة وبغداد منها واسط والبصرة وعرقوف وبابل وغيرها من المناطق مما يعني سيطرته على معظم الأراضي العراقية إن لم نقل كلها وهيمنتها عليها.

ففي رواية للإمام الصادق (عليه السلام) يتحدث فيها عن السفيناني: (يركب الأرض تسعة أشهر يسوم الناس فيها سوء العذاب فويل لمصر وويل للزوراء وويل للكوفة وواسط)^(١١٤). ولعل ذلك متأني من وجود شيعة وموالين كثر لأهل البيت (عليهم السلام) في هذه المدن، كما انه من الممكن وجود جيوب للمقاومة في كلتا المدينتين تقف في وجه جيش السفيناني وتحاول صد هجومه عليها فينزل بها عند ذلك نقمته وشره.

أما أساليب ووسائل السفيناني التي يستخدمها في صب غضبه على الناس فكثيرة حيث يقوم بالقتل على الاسم والهوية فمن شابه اسمه احد أسماء أهل البيت (عليهم السلام) قتله فقد ورد عن علي (عليه السلام) أنه قال : (لم يزل السفيناني يقتل من اسمه محمد وعلي والحسن والحسين وجعفر وموسى وفاطمة وزينب ومريم وخديجة وسكينة ورقية حنقاً وغيضاً لآل محمد (عليهم السلام))^(١١٥).

ولا يكتفي بالقتل فقط بل يتبع أسلوب المثلثي بعد القتل كما فعل جده الملعون يزيد بشهداء كربلاء فقد جاء عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: (ليؤخذ الرجل فتقطع يداه ورجلاه ويصلب على جذوع النخل وينشر بالمنشار ثم لا يعدو ذنب نفسه أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب)^(١١٦).

وفي رواية أخرى: (ويبقر بطن امرأة حبلى في الطريق بغير ذنب فيسقط جنينها)^(١١٧).

١١٢ - بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٨٣

١١٣ - الفتن لأبن حماد ج ١ ص ٣١٧

١١٤ - بشارة الإسلام ص ٢٧٣، ١٤٣ ، يوم الخلاص ص ٦١٦

١١٥ - بشارة الإسلام ص ٢١٩

١١٦ - غيبة الطوسي ص ٢٧٦

١١٧ - يوم الخلاص ص ٥٩٥

وغيرها كثير من هذه الروايات التي تركناها مراعاة للاختصار، ولو إن أحداً قرأ هذه الأحاديث قبل هذا الوقت لما استطاع أن يتصور هذا المنظر إلا إننا في هذا الزمان وتحديداً في العراق شهد جميع من كان هناك مثل هذه الأفعال مراراً وتكراراً والشواهد كثيرة، فلا استغراب من أن يقوم السفيناني بالباقي عند دخوله العراق واجتياح جيشه له.

وكذلك يقوم السفيناني بإعطاء المال في سبيل قتل أتباع آل محمد فقد ورد عن الصادق (عليه السلام) أنه قال: (كَأني بالسفِيناني أو بصاحب السفِيناني قد طرح رحله في رحبتكم بالكوفة فينادي مناديه من جاء برأس شيعة علي فله ألف درهم فيثب الجار على جاره ويقول هذا منهم فيضرب عنقه ويأخذ ألف درهم أما إن إمارتكم يومئذ لا تكون إلا لأولاد البغايا وكأني أنظر إلى صاحب البرقع قلت ومن صاحب البرقع فقال رجل منكم يقول بقولكم يلبس البرقع فيحوشكم فيعرفكم ولا تعرفونه فيغمزكم رجلاً رجلاً أما إنه لا يكون إلا ابن بغي) (١١٨).

وهذا أمر طبيعي حيث صرنا نشهد هذا الأمر في أيامنا فيتاجر بدم الناس مقابل حفنة من الدنانير، وتوجد إشارة في الرواية إلى أن المقصود بشيعة علي هم أتباع دعوة الإمام المهدي (عليه السلام) والسيد اليماني ولا يقصد بهم الشيعة بصورة عامة لأننا كما نعلم إن الكوفة أغلب سكانها إذا لم نقل كلهم من الشيعة فكيف يستقيم ذلك إلا أن يكون المقصود أنصار الإمام الذين يطلبهم السفيناني بصورة خاصة وإلا فإن باقي الشيعة في متناول يده وتحت ناظرية في كل الكوفة .

وهذا يدل على أن له مؤيدين من داخل العراق ممن وافق هواهم هواه بل وحتى من داخل الوسط الشيعي ومن يحسب على مذهب التشيع وهو منهم براء بلحاظ قول الصادق (عليه السلام): (رجل منكم يقول بقولكم) وهذا الرجل سوف يبيع دينه وضميره وأهله لأجل حفنة من المال عن طريق كشفهم للأعداء وتعريفهم به، وهو أي صاحب البرقع يغطي وجهه حتى لا يتعرف الناس عليه لأنه من بينهم وهم يعرفونه ولكنه يضع البرقع ليخفي شخصيته.

أما الحجاز فإن السفيناني يوجه قسماً من جيشه إليه وتحديداً إلى المدينة بغية احتلالها، بعد أن يقوم باحتلال العراق فقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (إذا خرج السفِيناني يبعث جيشاً إلينا وجيشاً إليكم فإذا كان ذلك فأتونا على كل صعب ونلول) (١١٩).

ويفعل في المدينة المنورة ما فعل في الكوفة، حيث يكتب إلى قائد جيشه الذي احتل الكوفة بالتحرك إلى الحجاز فيتم تسيير الجيش إلى المدينة، فيضع السيف في قريش ويقتل الرجال

١١٨ - بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢١٥

١١٩ - بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٥٣ ، غيبة النعماني ص ٣٠٦

والولدان ويقرر البطون ويقتل في هذه المجزرة شخصين من قريش رجل وأخته ويصلبان على باب مسجد المدينة.

فقد ورد: (يكتب السفيناني إلى الذي دخل الكوفة بخيله وبعد أن يعركها عرك الأديم يأمره بالسير إلى الحجاز فيسير إلى المدينة فيضع السيف في قريش فيقتل منهم ومن الأنصار أربعمئة رجل ويقرر البطون ويقتل الولدان ويقتل أخوين من قريش رجل وأخته يقال لهما فاطمة ومحمد ويصلبهما على باب مسجد المدينة) (١٢٠).

وهذا يدل على ضعف سيطرة الحكومة عليه وتشنت أمرهم وتفرق كلمتهم نتيجة المنافسة على الحكم مما يسهل على جيش السفيناني دخول الحجاز .

فيدخلها في اثنا عشر ألف رجل عليهم رجل من بني أمية وينزل داراً لأحد بني أمية، مما يعني وجود أسر أموية في المدينة وقد يكون هناك تعاون مشترك ولو بشكل محدود بين الطرفين مما يسهل عملية تتبع آل محمد وشيعتهم والقبض عليهم فقد ورد: (وخروج السفيناني براءة حمراء أميرها رجل من كلب واثنا عشر ألف عنان من خيل السفيناني متوجهاً إلى مكة والمدينة أميرها أحد من بني أمية يقال له خزيمة أطمس العين الشمال على عينه طرفة يميل بالدنيا فلا ترد له راية حتى ينزل المدينة فيجمع رجالاً ونساء من آل محمد فيحبسهم في دار في المدينة يقال لها دار أبي الحسن الأموي ..) (١٢١).

أما ما يقوم به جيش السفيناني من أعمال تخريب وقتل ونهب فكما فعلوا بالكوفة، حتى إن نفرًا من بني هاشم ممن يسكن المدينة يضيق بهم الحال حتى يفر بعضهم إلى البراري والجبال طلباً للنجاة من سيف السفيناني كما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) في قوله: (يبعث السفيناني جيشاً إلى المدينة فيأمر بقتل كل من كان فيها من بني هاشم فيقتلون ويفرون هاربين إلى البراري والجبال حتى يظهر المهدي) (١٢٢).

وفي رواية أخرى: (يؤخذ آل محمد صغيرهم وكبيرهم ولا يترك أحد إلا حبس) (١٢٣).

وتصف الروايات فتك جيش السفيناني بالمدينة وإن له بها وقعة ليست وقعة الحرّة عام ٦٢ هـ عندها بشيء فقد جاء عن النبي (ﷺ تسليماً): (يكون قبله بأيام وقعة بالمدينة تغرق فيها أحجار الزيت بالجمر ما الحرّة عندها إلا كضربة سوط فينتحي الجيش عن المدينة قدر بريدين ثم يبايع المهدي) (١٢٤).

١٢٠ - الفتن لأبن حماد ج ١ ص ١٠٢

١٢١ - بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٧٢

١٢٢ - الملاحم والفتن ص ٤٦ ، يوم الخلاص ص ٦١٢ ، الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٤٣

١٢٣ - إلزام الناصب ج ٢ ص ١٠٠

١٢٤ - بشارة الإسلام ص ٣٠ - ١٨٤ ، الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٤٣ ، يوم الخلاص ص ٥٨٦

وكان التاريخ يعيد نفسه فأراد أن يعيد إلى مخيلة أهالي المدينة تلك الصور القبيحة لمجزرة الشيعة التي ألحقها الجيش الأموي أيام يزيد بن معاوية بالمدينة المنورة في واقعة الحرة^(١٢٥). وتستهدف هذه الواقعة أهل المدينة عموماً ومن يقيم فيها من آل محمد على وجه الخصوص ممن رام الإفلات من قبضة جيش السفيناني إلا أنه يدركهم ويذبحهم هناك ففي حديث للإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال: (أما من يهرب من آل محمد فيلحق بهم الجيش ويدركهم ويذبحهم عند أحجار الزيت)^(١٢٦).

وتشددت تلك الحرب بين الفينة والأخرى وتطفوا على السطح وتتسع إذا ما وجدت متنفساً أو أرضاً خصبة، وإذا ما هيئت لها القوة الكافية، لتطال كل ما هو مقدس لدى المسلمين وهو قبر الرسول (ﷺ) تسليماً) وقد أشار إلى ذلك قول الصادق (عليه السلام): (ويبعث السفيناني عسكرياً إلى المدينة فيخربها ويهدمون القبر الشريف وتروث بغالهم في مسجد رسول الله ...)^(١٢٧).

ولا تقتصر تلك العمليات على المدينة فحسب بل تمتد إلى مكة لأن هدف هذه القوات هو الإمام المهدي (عليه السلام) الذي يخرج من مكة خائفاً يترقب هو ووزيره السيد اليماني، ويبدو إن السفيناني تصله معلومات بخروج الإمام (عليه السلام) من المدينة إلى مكة فيرسل جيشاً بأثره فيتحقق الوعد الإلهي بخسف الأرض بهم وإهلاكهم وجاء في ذلك عن الباقر (عليه السلام): (سيكون عائذ بمكة يبعث إليه سبعون ألفاً عليهم رجل من قيس حتى إذا بلغوا الثانية دخل أخرجهم ولم يخرج منها أولهم نادى جبرائيل يا بيداء يا بيداء يسمع مشارقها ومغاربها خذيم فلا خير فيهم فلا يظهر على هلاكهم أحد إلا راعي غنم في الجبل ينظر إليهم حين ساخوا فيخبرهم فإذا سمع العائد بهم خرج)^(١٢٨).

وفي رواية أخرى جاء فيها: (ولا يفلت منهم أحد إلا بشير ونذير فأما بشير فيأتي المهدي وأصحابه فيخبرهم بالأمان من أمرهم ويكون شاهد ذلك في وجهه قد حول الله وجهه إلى قفاه فيصدقون لما يرون من تحويل وجهه ويعلمون إن القوم قد خسف بهم والثاني مثل ذلك قد

^{١٢٥} - الحرة أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار والجمع حرات والأحرون والحرون والحرار في بلاد العرب كثيرة والحرة المشار إليها هنا هي حرة وأهم أحد حرتي المدينة وهي الشرقية والتي دخلها الجيش الأموي البالغ تعداده خمسة آلاف مقاتل بقيادة مسلم بن عقبة، فأوقع بأهل المدينة هذه الواقعة وقتل من أهلها خلق كثير حتى وصلت الخيل إلى قبر الرسول (ﷺ) تسليماً) واعتدوا على حرمة وأبيحت المدينة أياماً لذلك الجيش وهتكت الأعراس وأجبر الناس على أن يبايعوا على إنهم عبيد ليزيد بن معاوية لعنه الله (تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٧٥

، تاريخ الطبري ج ٥ ص ٦٢٣ ، معجم البلدان ج ٢ ص ٢٨٣

^{١٢٦} - بشارة الإسلام ص ١١٦ ، يوم الخلاص ص ٥٨٧

^{١٢٧} - إلزام الناصب ج ٢ ص ١٩٠

^{١٢٨} - الفتن لأبن حماد ص ٩٠ عصر الظهور ص ١٠٤

حول الله وجهه إلى قفاه فيأتي السفيناني فيخبره بما نزل بأصحابه فيصدقه ويعلم إنه حق لما يرى فيه من العلامة وهما رجلان من جهينة) (١٢٩).

فينصر الله عبده ويهزم الأحزاب وحده بخسفه بهم في البيداء فيهلكهم عن بكرة أبيهم إلا اثنان منهم يكون بقائهما آية للعالمين، وإن نشاط جيش السفيناني ونفوذه يبقى قوياً في الحجاز على الرغم من الخسف بجيشه وقيام الإمام المهدي (عليه السلام) في مكة.

فيكاتب السفيناني أهل المدينة يأمرهم فيها بقتل عامل الإمام (عليه السلام) عليها فينفذون أمره فقد ورد: (يخرج إلى المدينة فيقيم بها ما شاء الله ثم يخرج إلى الكوفة ويستعمل عليها رجلاً من أصحابه فإذا نزل الشفرة جاءهم كتاب السفيناني إن لم تقتلوه لأقتلن مقاتليكم ولأسبين ذراريكم فيقبلون على عامله فيقتله فيأتيه - أي الإمام - الخبر فيرجع إليهم فيقتلهم ويقتل قريشاً حتى لا يبقى منهم أكلة كبش ...) (١٣٠).

موقف الإمام المهدي (ع) من السفيناني

عند دخول المهدي (عليه السلام) إلى أرض العراق يقوم بتطهيرها ولا سيما الكوفة من الجيوب الباقية لجيش السفيناني وينهي أمره إلى غير رجعة، وفي رواية: (إذا صعد النجف قال لأصحابه تعبدوا ليلتكم هذه فيبيتون بين راع وساجد يتضرعون إلى الله حتى إذا أصبح قال خذوا بنا طريق النخيلة وعلى الكوفة خندق خندق خندق؟ قال : أي والله حتى ينتهي إلى مسجد إبراهيم (عليه السلام) بالنخيلة فيصلي فيه ركعتين فيخرج إليه من كان بالكوفة من مرجئها وغيرهم من جيش السفيناني فيقول لأصحابه استطردوا لهم ثم يقول كروا عليهم قال أبو جعفر (عليه السلام): ولا يجوز والله الخندق منهم مخبر ثم يدخل الكوفة فلا يبقى مؤمن إلا كان فيها ...) (١٣١).

وفي رواية أخرى عن الصادق (عليه السلام): (يقدم القائم حتى يأتي النجف فيخرج إليه من الكوفة جيش السفيناني وأصحابه والناس معه وذلك يوم الأربعاء فيدعوهم ويناشدهم حقه ويخبرهم انه مظلوم مقهور ويقول من حاجني في الله فأنا أولى الناس بالله ... فيقولون أرجع من حيث جئت لا حاجة لنا فيك قد خبرناكم واختبرناكم فيتفرقون من غير قتال فإذا كان يوم

١٢٩ - بحار الأنوار ج ٥٢ ص ١٨٦

١٣٠ - بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٠٨

١٣١ - بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٤٣

الجمعة يعاود فيجيء سهم فيصيب رجلاً من المسلمين فيقتله فيقال إن فلان قد قتل فعند ذلك ينشر عليهم هو وأصحابه فيمنحهم الله أكتافهم ويولون فيقتلهم (...)(١٣٢).

وتذكر الروايات يوم الأبدال وهو اليوم الذي يلتقي فيه جيش الإمام (عليه السلام) مع جيش السفيناني فيخرج أناس كانوا منضوين تحت لواء السفيناني إلى الإمام المهدي (عليه السلام) ويلحقوا به والتي عبرت عنهم المصادر بشيعة آل محمد، وبالمقابل يخرج أناس كانوا مع الإمام المهدي (عليه السلام) إلى السفيناني ويلحقوا به وهؤلاء كانوا سفينانيين الهوى.

فعن الإمام الباقر (عليه السلام): (ثم يأتي الكوفة فيطيل بها المكث ما شاء الله أن يمكث حتى يظهر عليها ثم يأتي مرج العذراء هو ومن معه وقد التحق به ناس كثير والسفيناني يومئذ بوادي الرملة حتى إذا التقوا وهو يوم الأبدال يخرج أناس كانوا مع السفيناني من شيعة آل محمد (ﷺ) تسليمًا) ويخرج أناس كانوا مع آل محمد إلى السفيناني فهم من شيعته حتى يلحقوا بهم ويخرج كل ناس على رأيهم وهو يوم الأبدال (١٣٣).

ويلاحظ من سير الأحداث إن فيها شبهاً من حادثة استسلام أبي سفيان وإعلانه السلم ولم يكن ذلك إلا تقية بعد أن رأى الضعف قد بان في نفسه وأتباعه وعلا صوت الحق وقوي سلطانه وهذا هو ما يدفع السفيناني إلى إعطاء البيعة سلماً للمهدي (عليه السلام) بعد أن رأى عجز جيشه عن مقاومة جيش المهدي وصار أمام الأمر الواقع بعد أن أصبحت المواجهة مباشرة وحتمية بين الجانبين فعن الإمام الباقر (عليه السلام): (إن المهدي يسير بجيشه لملاقاة السفيناني ويقول لأصحابه سيروا إلى هذا الطاغية فيدعوا إلى كتاب الله وسنة نبيه (ﷺ) تسليمًا) فيعطيهم السفيناني من البيعة سلماً (١٣٤).

وأورد ابن حماد: (إذا بعث السفيناني إلى المهدي جيشاً خسف بهم في البيداء وبلغ أهل الشام قالوا لخليفتهم قد خرج المهدي فبايعه واخلف في طاعته وإلا قتلناك فيرسل إليه بالبيعة ويسير المهدي حتى ينزل بيت المقدس) (١٣٥).

ولعل هذه الفئة المطالبة بالبيعة للإمام (عليه السلام) هم من الفئة التي تلتحق بالإمام بعد دخوله الشام لأن هواهم مع المهدي ومن المحتمل أن يكونوا من ذوي النفوذ أو من قيادات الجيش لذا يهددون بقتله، ولا ينكر ما لعلامة الخسف في نفوس هؤلاء لأنهم على علم مسبق بها من خلال الروايات.

١٣٢ - بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٨٧

١٣٣ - بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٢٤

١٣٤ - بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٤٣

١٣٥ - الفتن لأبن حماد ص ٩٦

وبعد مبايعة السفيناني للإمام (عليه السلام) يستثيره أصحابه من كلب ويندمونه على فعلته هذه ويطلبونه بنقض هذه البيعة وبالمقابل يجددون البيعة للسفيناني الذي لا يتباعد عن إضاء رغبتهم بعد أن وجد العزم والإصرار فيهم على مقاتلة الإمام المهدي (عليه السلام) وإلا فإنه لم يرضخ لأمر البيعة إلا كرهاً ويعبئ جيشه لملاقاة جيش الإمام وتتلاقى الفئتان وتدور الدائرة على السفيناني وجيشه وينهزمون شر هزيمة وتباد كلب عن بكرة أبيها، أما السفيناني فتكون نهايته ذبحاً .

ويصف لنا الإمام الباقر (عليه السلام) ذلك بقوله: (ثم ينصرف إلى أصحابه فيقولون له ما صنعت فيقول أسلمت وبايعت فيقولون له قبح الله رأيك بينما أنت خليفة متبوع فصرت تابعاً فيستقبله فيقاتله ثم يمسون تلك الليلة ثم يصبحون للقائم (عليه السلام) بالحرب فيقتتلون يومهم ذلك ثم إن الله تعالى يمنح القائم وأصحابه أكتافهم فيقتلونهم حتى يفنواهم حتى إن الرجل يختفي في الشجرة والحجرة فتقول الشجرة والحجرة يا مؤمن هذا رجل كافر فاقتله فيقتله قال فتشبع السباع والطيور من لحومهم فيقيم بها القائم (عليه السلام) ما شاء الله ثم يعقد بها (عليه السلام) ثلاث رايات لواء إلى قسطنطينية يفتح الله له ولواء إلى الصين فيفتح له ولواء إلى جبال الديلم فيفتح له)^(١٣٦).

واحتجاج أصحاب السفيناني عليه وإنه صار تابعاً بعد أن كان متبوعاً صار عن عقول وقلوب عمي وطبع عليها وران عليها ما صنع أصحابها وما خرجوا به عن ملة الإسلام إلى الكفر الصريح لأنهم في قرار أنفسهم لا يعترفون بالإمام المهدي (عليه السلام) وإمامته وأهليته لهذه الإمامة .

وفي رواية أخرى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال : (يسير بهم في اثنا عشر ألفاً إن قلوا وخمسة عشر ألفاً إن كثروا شعارهم أمت حتى يلقاه السفيناني فيقول أخرجوا إلي ابن عمي حتى أكلمه فيخرج إليه فيكلمه فيسلم له الأمر ويبايعه فإذا رجع السفيناني إلى أصحابه ندمه كلب فيرجع ليستقبله فيقتله فيقتل هو وجيش السفيناني ... فيهزمهم المهدي)^(١٣٧). وفي رواية أخرى (... فيمنحه الله أكتافهم ويأخذ السفيناني أسيراً فينطلق به ويذبحه بيده)^(١٣٨).

أما فلول أصحاب السفيناني ولا سيما من بني أمية الذين كانوا في الشام فإنهم يولون الدبر بعد أن ينكسر جيش السفيناني ويهربون إلى الروم طلباً للأمان وهرباً من سيف الإمام (عليه السلام) ، ثم

١٣٦ - بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٨٨

١٣٧ - الفتن لأبن حماد ص ٢١٥

١٣٨ - بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٤٣

يسترجعهم أصحاب الإمام المهدي (عليه السلام) بعد ممانعة من جانب الروم أول الأمر ثم يسلمون إليهم فيما بعد فيقتلونهم، فعن ابن خليل الأزدي قال: (سمعت أبا جعفر يقول في قوله تعالى فَلَمَّا أَحْسَنُوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ قَالَ إِذَا قَامَ الْقَائِمُ وَبَعَثَ إِلَى بَنِي أُمِيَّةَ بِالشَّامِ هَرَبُوا إِلَى الرُّومِ فَيَقُولُ لَهُمُ الرُّومُ لَا نَدْخَلُكُمْ حَتَّى تَنْصَرُوا فَيُعَلِّقُونَ فِي أَعْنَاقِهِمُ الصُّلْبَانَ وَيَدْخُلُونَهُمْ فَإِذَا حَضَرْتَهُمْ أَصْحَابُ الْقَائِمِ طَلَبُوا الْأَمَانَ وَالصَّلْحَ فَيَقُولُ أَصْحَابُ الْقَائِمِ لَا نَفْعَ لَكُمْ حَتَّى تَدْفَعُوا إِلَيْنَا مِنْ قَبْلِكُمْ مَنَا قَالَ فَيُدْفَعُونَهُمْ إِلَيْهِمْ)... (١٣٩).

وهذا الأمر بالذات وهو رفض تسليم الروم للأمويين يدل على وجود تحالف أو تأييد للسفياي وحركته ومعادات للإمام المهدي وأنصاره من خلال التمعن في بعض الروايات التي تشير إلى انحياز الروم إلى صف السفياي : (ثم إن رجالاً من رجال قريش يهربون إلى القسطنطينية فيبعث السفياي إلى عظيم الروم أن ابعث إلي بهم في المجمع قال فيبعث بهم إليه فيضرب أعناقهم على باب مدينة دمشق) (١٤٠).

ويلاحظ من خطاب السفياي لعظيم الروم العلاقة الوثيقة بين الجانبين حتى إنه ليلقي القبض على هؤلاء الرجال ويبعث بهم إلى السفياي مقيدين، وبالمقابل فإن الروم يمتنعون فيما بعد عن تسليم الأمويين اللاجئين إليهم إلى الإمام المهدي (عليه السلام) علماً إن تغيير رأيهم وتسليمهم إليه فيما بعد لإدراكهم بأنهم لا قبل لهم بالمهدي (عليه السلام) وأصحابه وإن بلادهم أصبحت على مرمى أسلحتهم، ثم إنهم في نيتهم استحصال أمان منهم ولذلك يغلبون مصالحهم على أي اعتبار آخر.

وبهذا تنطوي صفحة السفياي وعنجهيته الأموية بل تطوى صفحات ذلك السجال المرير في ذات الله وفي سبيله بين حزب الله (محمد وآل محمد) وبين حزب الشيطان (بنوا أمية وأخرهم السفياي) عليهم لعائن الله إلى غير رجعة وتشرق الأرض بنور الإسلام المحمدي الأصيل على يد المهدي آل محمد ويذهب الأمويين ومن لف لفهم من العباسيين وعلماء السوء والمنافقين إلى جهنم وبئس المصير، ويبقى الدين خالصاً لوجه الله ويظهره على الدين كله ولو كره الكافرون .

علاقته مع الروم

إن للسفياي علاقة قوية مع الروم كحال أسلافه من آل أبو سفياي وذريته وهذا طبيعي كون عدوهم مشترك وهو محمد وآل محمد فلا بد من وجود تعاون بين الطرفين من أجل مواجهة الإمام

١٣٩ - بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٧٧

١٤٠ - السنن الواردة في الفتن ج ٥ ص ١٠٩١

المهدي (عليه السلام) ودعوته وأنصاره ولا يستبعد ذلك التعاون إذا ما علمنا إن السفياني يكون معتقاً للديانة المسيحية كما تصرح الروايات، وبذلك تلتقي مصالح كلا الطرفين في ضرب القضية المهدوية لأنهم يعلمون إن هذا الشخص سيقضي على دولتهم ويجعل الدين واحد وهو الدين الإسلامي.

ويمكن تلمس علاقة السفياني بالروم من عدة روايات تشير صراحة إلى ذلك، فهذه الروايات تذكر إن السفياني عندما يقدم إلى بلاد الشام فإنه يأتي من بلاد الروم وهو منتصر وفي عنقه الصليب، وهذا بطبيعة الحال يفهم منه إن السفياني يرتد عن الإسلام الظاهري كما فعل أسلافه من آل أبي سفيان وبنو أمية ليدخلوا في الدين المسيحي.

فقد ورد عن بشر بن غالب أنه قال: (يقبل السفياني من بلاد الروم منتصراً في عنقه صليب وهو صاحب القوم)^(١٤١).

وجاء أيضاً في خطبة للإمام علي (عليه السلام) قوله: (خروج السفياني براية خضراء وصليب من ذهب أميرها رجل من كلب ..)^(١٤٢).

وهنا نرى الإشارة واضحة إلى اعتناق السفياني المسيحية بدليل كلمة منتصراً في الرواية الأولى فضلاً عنه انه يعلق الصليب في عنقه، والصلبان كما هو معلوم يلبسها المسيحيون أو يجعلونها في بيوتهم وكنائسهم.

ولو تمعنا في الروايتين الأنفتي الذكر لوجدناها تصرح بعمالة السفياني للروم وهم المتمثلون اليوم بالدول الغربية، وهذا ما يدفعنا إلى القول بأن حركة السفياني لا بد أن تكون لها جذور في الدول الغربية سواء كانت من ناحية مساعدته في أعداد الحركة أو في تمويلها وتهيئة الظروف السياسية لقدم السفياني إلى بلاد الشام ومن ثم بسط سيطرته عليها.

ونرى إن وجود تلك العلاقة بين السفياني والروم تشبه علاقة جده أبو سفيان فهو أول من صالح الروم مقابل مبلغ من المال يدفعه إليهم وذلك من أجل التفرغ إلى أمور حكمه في الداخل والتي في مقدمتها القضاء على أتباع أهل البيت، حيث ورد: (ورجع معاوية إلى الشام سنة ٤١ هـ وبلغه إن طاغية الروم قد زحف في جموع كثيرة وخلق عظيم، فخاف أن يشغله عما يحتاج إلى تدبيره وأحكامه فوجه إليه فصالحه على مائة ألف دينار وكان معاوية أول من صالح الروم وكان صلحه إياهم في أول سنة ٤٢ هـ ...)^(١٤٣).

^{١٤١} - بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢١٦

^{١٤٢} - بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٨١

^{١٤٣} - تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٥١

وكذلك ما يثبت العلاقة الحميمة بينه وبين النصارى اتخاذهم كعمال له في جهاز الدولة الحاكم، فعلى سبيل المثال اتخذه سرجون بن منصور الرومي أو النصراني كما يعرف مستشار له في أمور الحكم وعلى هذا الأساس يعد سرجون هذا عيناً ويداً للروم داخل بلاط معاوية، واستمر سرجون حتى في زمن حكم يزيد فإنه عمل كاتباً ومستشاراً له .